من أجل طريق بلا إعوجاج

من هنا نبدأ

م.عبد الله أبو السعود



الكتاب : من هنا نبدأ (مقالات)

المؤلف : م.عبد الله أبو السعود

الطبعة الأولى : القاهرة ٢٠٠٨

رقم الإيداع : ٢٠٠٨/٨٨٠٠

الترقيم الدولي : I.S.B.N: 978-977-6284-15-9

الناشر

شمس للنشر والتوزيع

٨٠٥٣ ش ٤٤ الهضبة الوسطى-المقطم-القاهرة

ت/فاكس: ٢٧٢٧٠٠٠٤(٠٢)-٦٤/٦٥ ٠١٨٨٨٩٠٠٦٥(٠٢)

www.shams-group.net

تصميم الغلاف : الفنان أمين الصيرفي

من هنا نبدأ

إهداء

إلى روح والدي سائلاً الله أن يتغمده برحمته، والذي حرم نفسه من كثير من ملذات الحياة؛ ليوفر لي كتابًا كنت ألتهمه في طفولتي، ربما كان سببًا فيما أنا فيه اليوم.

إلى الغالية والدتي التي سهرت كثيرًا لإصلاح مصباح الكيروسين؛ لاستكمال مذاكرتي في وقت لم تكن قريتنا تعرف كثيرًا عن الكهرباء.

إلى الصديقة زوجتي التي شاركتني الحياة بحلوها، وجنبتني كثيرًا من مرها.

إلى أخوتي وأخواتي الذين وفروا لي كثيرًا من أمهات الكتب والتفاسير، وتركوا بصمة واضحة في طريق حياتي.

إلى كل من يريد السير في طريق لا اعوجاج به.

إلى الرواد الذين يتقدمون الصفوف ويكشفون معالم الطريق.

إلى كل المجددين الذين يبحثون عن جادة الصواب.

إلى كل من سبقني وألقى بحجر أو يريد أن يلقي بحجر في بحيرة راكدة.

إلى كل من يبحث عن بداية الطريق.

أقدم هذا الكتاب..

مهندس / عبد الله أبو السعود

مقدمة الكتاب

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ (٨٨) هود.

كثرت هذه الأيام الكتابات التي تغيب العقول، وتذهب بالتفكير إلى حيث لا يريد الله لنا وبنا.

كثير من الكتب تحكي وتفسر وتروِّج للسحر وتقودنا لطريق لا يريده الله لنا.

كثير من المحطات الفضائية تخصصت في تغييب العقول من تأويل وتفسير ودجل يذهب بعقول أبنائنا إلى حيث المهالك. وكثير أيضًا من مدعي العلم يدلون بدولهم؛ بل كثير من النساء أيضًا يطللن علينا من الفضائيات، يفسرن لنا عن الجان والعفاريت، وتفسير للرؤى أيضًا.

ونسي الجميع أو تناسوا أننا أمرنا بالتفكير في خلق الله والتدبر في آياته، وأن التفكير فريضة إسلامية أمرنا الله بها..

فإلى متى سنظل مغيبي العقول؟

تاركين للآخرين إقحامنا في قضايا لا تسمن ولا تغني من جوع؛ بل تقودنا للضلال والإضلال. إلى متى سنظل نجري وراء جاهل ليفسر لنا

حلمنا؟ أو وراء مغيب العقل ليقودنا لفك الأعمال السفلية؛ ليجلب لنا البركة وليزوج لنا بناتنا؟

إن العودة لطريق العقل الذي منحنا الله لهو الطريق الوحيد لنجاتنا مما نحن فيه. أليس القرآن من عند الله؟ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.؟ أليس كل كلمة بالقرآن معجزة؟ أليس كل حرف في القرآن في موضعه يعتبر معجزة ؟ أليس ترتيب سور المصحف من عند الله؟ وترتيب آياته من الله أيضًا؟ إن تدبُّرنا وتفكيرنا في كتاب الله وكلماته لهو الفرض الواجب علينا.

أردت أن أوضح وأقول:

التفكير فريضة إسلامية، واتباع الجاهلين من مروجي السحر والشعوذة وفك الطلاسم لهو طريق الضلال. إن الذين يتقدمون الصفوف ويكشفون معالم الطريق هم الرواد فقط، أما الذين يغلقون باب التفكير والاجتهاد بحجة (ليس في الإمكان أبدع مما كان) و(لم يترك الأولون للآخرين شيئًا) فهم دعاة الركود الذي ينأى بالأمة عن جادة الصواب، ويتركنا راكدين وسط شعوب وأمم متحركة، وهذا أمر مضاد لطبيعة الحياة ومضاد لمراد الله أيضًا، أليس رسولنا صلى الله عليه وسلم القائل: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائه سنة من يجدد لها دينها».؟

للأسف لا تزال بيننا عقول لم تعد قادرة على مسايرة الحاضر، رغم أن عجلة الزمن لا تتوقف عن الدوران، وركب الحياة يواصل السير بلا انقطاع. وكثير من دعاة الانغلاق لا شأن لهم بما يدور في عالمنا اليوم (المتجدد تلقائيًا) سواء رضينا أو لم نرض، ويسخرون من المجددين،

ويعتبرونهم خارجين عن جادة الصواب؛ بل ربما مارقين أيضًا.

إن ترك باب التجديد لهو تخلٍّ صريح عن الأمانة التي حملنا الله إياها، ولهو فتح باب للمتشددين والمنغلقين لوقف المسيرة.

يقول ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿ قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ﴾

إنه أمرٌ ربانيٌّ صريحٌ للتفكُر في خلق الله. ويقول سبحانه وتعالى في سورة الكهف: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ . لقد ذكر الله سبحانه وتعالى أن صلاح الآباء كان سببًا في الحفاظ على أموال الأبناء . يقول تعالى: ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ .

صدق الله العظيم .

ولقد جمعت كتاباتي هذه في كتاب واحد، ربما تكون بداية في طريق التفكير الصحيح بعيدًا عن كتابات السحرة والمشعوذين، قاصدًا بها وجه الله، آملاً أن ينفعنا الله بها.

كتاباتي ربما تكون نواة لمن يأتي بعدي، ليكمل لنا وبنا مسيرة التفكير، التي هي فريضة إسلامية لن ننجو إلا بها.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

مهندس / عبد الله أبو السعود

كتاباتي تنويرية تثقيفية توجيهية
من يتفق معي فأهلاً به
ومن يعارضني الرأي فأهلاً به أيضًا.

(١)

الحب والهيام والعشق والغرام...
أيهما حلال وأيهما حرام؟

حب، غرام، عشق، هيام..

كلمات نسمعها يوميًا من الكبير والصغير، من الفتى والفتاة، من الرجل والمرأة، من الأعزب والمتزوج.... الجميع يقول: لا أستطيع التفرقة بينها. فهل لكل كلمة معنًى أم لجميعها معنًى واحد؟

بفرض أن رجلاً متزوجًا يحب زميلته في العمل أو جارته في المنزل، ويكتم حبه في قلبه، و لم يترجم حبه إلى واقع فعلي، من خلوة بها أو لمسة يد، وتكتم حبه لها في قلبه، هل يصبح هذا حرامًا ؟

أو زوجة ولديها زوج وتحب زميل لها في العمل أو جار لها في السكن، و لم تحاول ترجمة حبها لواقع فعلي، وتكتمت حبها له في قلبها، دون خلوة أو لمسة يد، هل تصير بذلك مذنبه؟

أليس الحرام هو الفعل نفسه؟ وأين نحن من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من هم بسيئة و لم يفعلها كتبت له حسنة»؟

مجرد تساؤل..

ليس المقصود هو تعريف الحب ومشتقاته، ولا البحث من مكنونه ولا مفرداته، ولكن للموضوع أهدافًا أخرى وأغراضًا سامية، للرقي بأفكارنا، للسمو المطلوب لمن ابتُليَ بداء الحب ومشتقاته.

بفرض أن رجلاً أو سيدة ابتُلي أحدهم بداء السرقة، وأصر كل منهما على تنفيذ سرقته، وفي قلبه إصرار على تنفيذ السرقة، هل يصير مذنبًا..؟ أم يصير مذنبًا بعد التنفيذ الفعلي للسرقة.؟

وإذا أكرمه الله بأخ وجعله يرجع عن فعلته، ولا ينفذ سرقته، ألا يكون ذلك ثوابًا له من الله؟ مصداقًا لحديث رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم: «من همَّ بسيئة و لم يفعلها كتبت له حسنة».

أي أن المُصر على السرقة أثابه الله حسنة بعدم تفعيل سرقته، ألا يكون مثله من ابتلي بالحب وكتم حبه في قلبه، ورفض تفعيل هذا الحب بالخلوة أو خلافه؟

فموضوعنا يطرح على المحبين السمو بمشاعرهم والتكتم عليها، وعدم التشهير بالمحبوب.

وأسأل الله لهم الثواب مقابل ذلك، هذا ما أقصده والله أعلى وأعلم.

(٢)

«إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي»

قولُ صحابي وليس قول أي مسلم آخر. قولٌ من زوج يفهم الإسلام ويفهم سنة رسولنا الكريم. قولُ زوج صاحبَ الرسول لسنوات وفهم ما هو الإسلام. أليس هذا هو قول الصحابي؟نعم نحن في حاجه ماسة لأن يفهم أزواجنا هذا الفهم الراقي. الشرقي فينا يفهم حُب التملك ولا يفهم حب المشاركة. والحياة الزوجية مشاركة بين طرفين: رجل وامرأة، شاب وفتاة، زوج وزوجة... إننا نطلب من زوجاتنا أن تتزيَّنَ لنا، وأن تظهرنَ في أحلى مظهر وأحلى ثياب، ونحن لا نقوم بأي عمل من ذلك نحوهن، ونطلب منهن أن تكُنَّ دائمًا وأبدًا في غاية الروعة والجمال بحجة (حتى لا ننظر لغيرها) ونحن لا نبادلها نفس الشعور. ألا يُعدُّ هذا غبنًا..؟ أليس هذا انتقاصًا لقدرها كأنثى لها رغبات مثلنا..؟ أليس هذا سلبًا لحقوقها الأنثوية..؟

أعتقد أن السبب يرجع لمفهومنا الخاطئ للحب. فنحن لدينا حب التملك وليس حب المشاركة، وللأسف الغرب يفهمون هذه النقطة جيدًا. إنهم يفهمون حُب المشاركة لا حُب التملك، يعطون شريكتهم أيًا كانت: صديقة أو زوجة حقوقها الأنثوية كاملة، ولا يقصرون فيها،

وذلك لأنه يعلم أنها شريكة وليست مملوكة له. والفرق بيننا وبينهم يكمن في كيفية التفكير، هم يفكرون بعقلية المشاركة الكاملة بين الرجل والمرأة، ونحن نفكر بعقليه التملك. هي لي وليست لغيري، أنا زوجها ولي عليها حقوق.

نعم سيدي لك عليها حقوق، ولها عليك نفس الحقوق أيضًا. أليس الله القائل في كتابه الكريم:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢٢٨ سورة البقرة.)

ولهذا فهم الصحابيُّ القرآن وفهم سنة المصطفى، وطبقها على نفسه قائلاً لنا وموضحًا: إني أحب أن أتزين لزوجتي كما أحب من زوجتي أن تتزين لي» هل هذا ينقص من رجولته؟ أعتقد أننا نحتاج إلى إعادة تثقيف، وإعادة تربية وإعادة توجيه. ربما..

(٣)

عفوًا آنساتي عفوًا سيداتي...
ماكياجك مفروض علينا فهل من ترشيد؟

انتشرت في الآونة الأخيرة موضة الماكياج الصارخ، غير المناسب لوجه السيدة أو الفتاة، وغير المناسب لبشرتها بكل اختياراتها من ألوان، والنتيجة: (لخطبيطة......) هل من جهة معينة أو ناس أولاد حلال، أو هيئة علمية تدلنا على كيفية اختيار الفتاة والسيدة لألوان ماكياجها، لكي تريحنا من ألوان على وجوه بريئة، قد تثير الغثيان أحيانًا..؟ هل من جهة تقول للمرأة ما هو المناسب وما هو غير المناسب؟

أحيانًا ماكياج المرأة يزيدها جمالاً ونضارة، وأحيانًا أخرى يكون عكس ما أرادت بسبب جهلها بكيفية اختيارها لألوانها المناسبة لبشرتها. ربما يقول أحد الأخوة والأخوات أنني أنادى بماكياج للمرأة.. وأنا أرد قائلاً: طبعًا لا... ليس هذا قصدي. فأنا ضد ماكياج المرآة أيًا كان خارج حدود بيتها ومحارمها؛ ولكن اليوم أصبح الماكياج مفروض علينا باسم الموضة ونراه يوميًا في العمل والجامعة والشارع، ناهيك عن الأفراح المختلطة.

هل تعلم الآنسة والسيدة التي ابتليت بموضة الماكياج – ولا تستطيع أن يراها الآخرون بدونه– أنه يوجد فرق كبير جدًا حسب أقوال مخترعي الموضة والمؤمنين بها. وأن ماكياج الآنسة يختلف عن ماكياج المتزوجة.. وأن ماكياج العمل والجامعة محراب العلم يختلف عن ماكياج السهرة والأفراح.. وأن ماكياج المرأة أحيانًا أصبح (لخطبيطة) يعني بدون أصول، بدون ثوابت، بدون تمييز بين المناسب وغير المناسب.

أعتقد أنه آن الأوان على المسئولين والمعنيين كذلك بأمور الماكياج من مصممين ومن شركات تدري الربح الوفير من هذه التجارة، أن يرحمونا وأن يعطوا بناتنا دروسًا أو نشرات دورية، توضح لهن فن وأصول الماكياج، تشرح لهن وتعرفهن كيفية اختيار الألوان المناسبة للبشرة؟كما تعرفهن الفرق بين اختيار الآنسة للماكياج واختيار المتزوجة له، الفرق بين ماكياج العمل وبين ماكياج السهرة، الفرق بين ماكياج الجامعة وبين ماكياج الأفراح. وأتوجه للمعنيين والذين يجنون من وراء هذه التجارة الربح الوفير، أن يرحمونا بنشرات دورية طالما أن الماكياج أصبح مفروضًا علينا.. وعلى رأي المثل:(قدر أخف من قدر) والله المستعان.

(٤)

أن يجامع الزوج زوجته بغير رضاها.. أيعتبر اغتصابا؟

تقول بعض الأبحاث: إن المرأة تستجيب للمثيرات اللفظية من مغازلات وكلام معسول، وتعتبر الأذن لديها هي العنصر الأساسي لكل ترتيبٍ آتٍ من تمهيدات وملاطفات.

أما الرجل فتثيره المشاهدة، ولا يثيره السمع مثل المرأة، ولذلك فالعين عنده مصدر الإثارة. والرجل من الممكن أن يمارس الجنس بلا مقدمات لفظية أو تمهيدات رومانسية، ولذلك نلاحظ أن المرأة تحتاج إلى مقدمات ضرورية لا بُد منها نادرًا ما يحتاجها الرجل، وفي أحيان كثيرة لا يستطيع الرجل فهم المرأة ولا فهم متطلباتها، ولا فهم مكنون أسرارها، ولا يكون له دراية بما هو مطلوب منه، وما هي واجباته تجاه زوجته، إنه جهل بأمور الزوجة، وجهل بأمور المرأة عمومًا، وفي نفس الوقت فالرجل لديه متطلبات معينة لا بُد أن يحصل عليها.

وفي نقاشي مع أحد الزملاء بمكتبي حول ما للزوجة من حقوق على زوجها، وبعد أن ذكرت له قول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (٢٢٨ سورة البقرة) . وقول الصحابي رضي الله عنه:

«**إني لأتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين زوجتي لي**» رد قائلاً بالحرف الواحد: ليس للزوجة من زوجها سوى أن يمشط شعر رأسه ولحيته....!

أخواتي وأخوتي

أليس هذا إجحافًا بحق الزوجة، وتقصيرًا في واجباتنا نحوها؟ أليس هذا الفكر يعتبر فكرًا قاصرًا لفهم الدين، ويعتبر هادمًا لبيت الزوجية؟ هل يحق للزوج أن يجامع زوجته وهي غير مستعدة نفسيًا، أم ينتظر الظروف النفسية المناسبة لها؟ بماذا تجيبوني؟

مجرد تساؤل.

(٥)

نسبة الطلاق والأنوار المضاءة بغرفة النوم
لغة العيون والأنوار المضاءة بغرفة النوم..

كثير من الأزواج والزوجات يهرولون خلف ثقافة الغرب؛ ظنًا منهم أنها الأولى بالاتباع، ويتفاخرون بأنهم يقضون ليلتهم مع أزواجهم على ضوء الشموع الخافتة، ولا يدرون أن الأنوار المضاءة أولى من ضوء الشموع الخافتة. فلقد أكدت كثير من الأبحاث بأن لغة العيون أقوى من أية لغة أخرى، وأقوى من أي سلاح آخر بين الحبيبين. فالعيون الدافئة، تحقق انفجارات وثورات من براكين الحب والحنان، لا يمكن لأي حواس أخرى أن تحققها.

ولا شك أن لغة العيون بغرفة النوم هي وسيلة تمهد للقاء أكبر وأشمل، وتلعب دورًا بارزًا في تحقيق التوافق بين الزوجين، وتشجع الانفعالات التأثيرية لدي الزوجة. والعيون يكون لها مفعول السحر للزوج أيضًا. ولذلك ينصح بعض الخبراء بأن تكون الأنوار مضاءة؛ حتى يرى كلا الزوجين بعضهما البعض، ويصير التواصل عبر نظرات العيون. ولكن للأسف كثير من بيوتنا النور فيها مقطوع ومصباح الغرفة محروق، بل صارت العلاقة الزوجية تأدية واجب، ليست تأدية واجب فقط.. بل

أصبحت لغة تأديب وتهذيب للأزواج العُصاه وللزوجات المتمردات أيضًا، لكل طرف أن يؤدب الآخر بطريقته هو، أي يحرمه مما يحب ويمنعه مما يريد.

هل زيادة نسبة الطلاق تحتاج إلى مولد كهرباء لإضاءة غرفنا؟

مجرد تساؤل؟

(٦)

لعبه السباق بالخيول والحياة الزوجية

من المعروف أن سباق الخيول رياضة جميلة يعشقها الكثيرون. وهي رياضة وفروسية.. والخيول العربية الأصيلة لها محبوها ومقتنوها.. وأحيانًا تصير ألفة وتعارف بين الحصان أو الفرسة أو المهرة وفارسها، ويصير عشق كبير بين الاثنين، الفارس يدرب الفرسة ويطعمها بيديه، و يناوب على خدمتها حتى تصير معشوقة له. والسباق يعتمد على شيئين اثنين ألا وهما الفارس والفرسة، وترابط الطرفين الفارس والفرسة وحبهما لبعضهما البعض حتمًا سيكون من نتيجته الفوز في السباق. ولكن مهما كان الفارس مغوارًا والفرسة مكرت معه؛ فلن يجني إلا الخيبة وكلام الناس. هكذا تكون الحياة الزوجية والسعادة الزوجية أيضًا..

تكامل بين طرفين، تكامل بين فارس وفرسة، تكامل بين زوج وزوجة، مهما كان الزوج فارسًا مغوارًا، فلن يستطيع أن يدير بيتًا والزوجة كارهة له؟إذن لا بُد من التواصل بين الرجل والمرأة، حتى تساعده للفوز بأسرة سعيدة.

مجرد اقتراح.

(٧)

فتاة تعرض بيع عذريتها بالمزاد العلني

هل هي فعلاً ذكية حسب قوانين وأعراف بلادها وعقيدتها؟ أم أنها الحرية التي يطالبنا بها الغرب لبناتنا المحرومة منها حسب رؤية الغرب لنا.؟

قرأت في أحد المنتديات على شبكة الإنترنت عن هذه القصة، وهي أن فتاة تبلغ من العمر ١٨ ربيعًا بالمرحلة الثانوية آنسة عذراء، تعرض بياناتها الشخصية مع صورة شخصية لها تقول في رسالتها:

اسمي..............، عمري ١٨ سنة عذراء، تنوي فعل عمل معين، حق طبيعي لها تبدأ به حياتها الطبيعية، وتعرض بدء المزاد العلني للرجال، لمن يريد أن يكون هو البادئ لفعل هذا الأمر، تعرض عرضًا سخيًا مغريًا لكثير من الرجال والشباب، بل وكثير من الكهولة أيضًا، وتبدأ المزاد بقليل من الدولارات، ومن يريد أن يكون هو المستحوذ فعليه بدخول المزاد.

حقيقة الأمر.. أثار انتباهي هذا الأمر، وكنت في حيرة من أمري بين مصدق ومكذب، بين مقر لها بما تنوى عمله، وبين مستنكر لها عن

أسلوبها في العرض. هل هي بجاحة منها في طريقة العرض أم ذكاء منها، في كيفية التكسب من وراء عمل لا بد لها من فعله.؟ أليست كل بنات الكون مرت أو ستمر بهذه التجربة.؟ أليست أمها وأخواتها إن كان لها أخوات بنات عاشوا هذه التجربة هل هي فعلاً فتاة ذكية، حسب قوانين وأعراف بلادها وعقيدتها.؟ بمعنى أنها ستخطو هذه الخطوة آجلاً أو عاجلاً مع فلان أو مع غيره.. بفلوس أو بدون فلوس... المهم أنه لا تفرق معها من هو الفاعل، كما أنها خطوه ستخطوها هي به أو بدونه. فلماذا لا تبحث عن واحد مريض نفسيًا أو مختل عقليًا أو كبير جدًا أو (**كداب زفة ونفسه يتباهي**) بأنه أول من فعل بها ومعها هذا الأمر.. وكذلك الفتاة تحصل على قرشين تبدأ بهم حياتها.. المهم أنها لن تفعل محرمًا أو مكروهًا أو عيبًا في عقيدتها أو عقيدة مجتمعها، بهذا التصرف تصرف طبيعي فعلته جميع بنات بلدها، و فعلته أمها وأخواتها بدون مقابل.

ألا يحق لها أن تكون هي الأذكى؟ وتتكسب من وراء ذلك... أم أنها الحرية التي يطالبنا بها الغرب لبناتنا المحرومة منها.. فعلاً إذا لم تستح فافعل ما شئت.. الحياء شُعبة من شعب الإيمان كما قال رسولنا الكريم، موجهًا المجتمع المسلم لقيمة الحياء، وقال أيضًا عليه الصلاة والسلام: (**لا دين لمن لا حياء له**) وحافظ القرآن الكريم على المرأة وكرمها، يقول المولى سبحانه وتعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) النور

والله المستعان.

(٨)

الست مديحة وأموال أولادها القُصر

مديحة شابة طموحة مثل كل بنات جيلها، وإن كانت تمتاز عن غيرها بتدين فطري لا يحتاج إلى ثقافة خاصة، نشأت في أسرة صغيرة في البندر، وكان والدها قروي الأصل ريفي المولد والتربية، ولكن ظروف عمله اقتضت السكن بجوار عمله في البندر.

وجاء نصيب مديحة من ابن عمها، الذي ما زال يسكن الريف ويحترف الزراعة. وتمردت في بادئ الأمر للحياة الريفية، وكم تمنت أن تسكن في البندر بجوار والدتها وصديقاتها البنات... ولكن نظرًا لنصيب كل منا في الزواج ما كان لها من خيار سوى القبول به زوجًا والانتقال إلى قريته سكنًا، واستمرت حياتهما البسيطة مثل كل حياة أهل الريف من هدوء ونقاء بعيدًا عن كيماويات المدينة وعوادمها، وإن كان يشوب حياتها كثيرٌ من الملل، وتلاحظ كثيرًا من النفاق والرياء.

ولحياة القرية مساوئ كثيرة منها البلهارسيا التي أتت على حياة زوج مديحة يومًا ما، وتركتها تواجه أسرتها الصغيرة المكونة من ثلاثة أفراد هي مديحة وابن وبنت، وكانت أسرة صغيرة وذلك حسب ما ينادي به تنظيم الأسرة، ولكن لم تستطع مديحة أن تنفذ وصايا التليفزيون (**خلي ضهرك**

للترعة) بالنسبة لزوجها والبلهارسيا، لأن إرادة الله قد نفذت وكانت سابقة لمجيء مديحة للقرية.

واجهت مديحة حياتها كاملة، مسئوله عن طفل وطفله أمام الله والمجتمع، واستصدر لها أبناء الحلال حكم محكمة يعطي بل يكلف مديحة بأنها الوصية على أموال أبنائها القصر، بدون مقابل. لم تغضب مديحة من جملة (**بدون مقابل**) في قرار الوصية، لأنها وهبت نفسها لإسعاد حياة أبنائها مهما كلفها الأمر. ونفذت مديحة نصيحة من الأقارب، بالانتقال لبيت والدها بالمدينة، وتكون بعيدًا عن الشبهات وعن أعين المتلصصين، وكذلك قامت بتأجير قطعة أرض كان يمتلكها زوجها قبل وفاته، بعض قراريط مبعثرة هنا وهناك، والتي أدرجت في كشف التركة المخلفة من المرحوم زوجها.

وللأسف كان المستأجر ضيق الخلق، واسع الذمة، لم تجنِ مديحة من الإيجار سوى المشاوير من البندر للقرية والعودة دون أي مقابل يجزى واستمر الحال على هذا الأمر........ ونصحها آخرون بالمشاركة في الزراعة أفضل من الإيجار.

ونفذت هذه النصيحة، واستمرت سنتان تتردد بين القرية والمدينة لمتابعه شركائها وزراعاتها، وللأسف لم تكن مديحة محظوظة أيضًا بالمشاركة، فقد باع شريكها المحصول، وقبض على الثمن، وأصبح يماطلها في السداد. ومديحة بين المماطلة من الشريك من جهة، وبين متطلبات الأولاد من جهة أخرى، لا تدري ماذا تفعل.؟

واجتمعت الأسرة وقرروا فيما بينهم بوجود مديحة أن ترتاح المسكينة من المشاوير والمماطلة وأنه لا حل سوى بيع الأرض وعمل مشروع بقيمتها، وذلك بعد الرجوع وموافقة المجلس الحسبي على هذا الأمر. وأشار إليهم أحد المحامين بأن الموضوع عبارة عن طلب ترفعه مديحة إلى النيابة الحسبية، تشرح وجهة نظرها، وأنها تود بيع الأرض لأنها لا تُدر عليها أي دخل.

وبعد بعض الإجراءات البسيطة وافقت النيابة الحسبية على البيع، بعد الرجوع لمحكمة الأسرة وانتداب خبير زراعي لتقدير قيمه الأرض، وكذلك خبير حسابي لتقسيم التركة بين الورثة وتقدير مبلغ كل منهم، بشرط إيداع الأموال في البنك بأسماء القصر بعد استنزال نصيب مديحة، وكذلك نصيب والدة المرحوم لوفاه والده.

فرحت مديحة بهذه الموافقة على البيع، وإيداع الأموال في البنك بأسماء القصر، وربما تجد مديحة سبيلاً لبداية حياة جديدة، بعد الانتهاء من مشاكل الأرض التي لا تجني منها سوى استنزاف حياتها دون مقابلٍ مجزٍ.

رجعت مديحة من المحكمة بهذا القرار وهي سعيدة، ولكن سعادتها لم تكتمل لأن والدها وضح لها بعض الأمور التي تجهلها. وهي أن فوائد البنك حرام، وكيف تريد لأولادها أموالاً حرامًا كفوائد...؟ كان والدها صالحًا حقًا وهو اسم على مسمى، وأسند إليه زملاؤه الاهتمام بمسجد المحطة من عناية ونظافة، وكان أحيانًا كثيرة يؤذن للصلاة بالمسجد، ومرات عديدة يؤمهم الشيخ صالح في غياب الإمام، علاوة على عمله

المكلف به، فكيف بعد هذه التقوى يوافق لمديحة بفوائد البنوك...؟

كانت فرحة مديحة كبيرة وهي ترى النصيحة تشع من عين والدها الشيخ صالح، ولكنها أصيبت بنوع من الإحباط لمستقبل أولادها وكيفية أدارة أموالهم. نصحها البعض بأن تسلك طريقًا سهلاً، وأن تضع الأموال في شراء بعض الأسهم، ربما تكون النتيجة المرجوة، وذلك بعد تعديل قرار محكمة الأسرة بدلاً من البنك إلى شراء الأسهم. فرحت مديحة بهذه النصيحة، ونوت أن تذهب للمحكمة لتعديل القرار، بما يناسب شراء الأسهم ربما توافق لها المحكمة، ولأن مديحة عديمة الخبرة مثل كثير من أمثالنا بمسألة الأموال وكيفية أدارتها تريثت قليلاً، وللأسف جاءتها أخبار بأن مسألة الأموال والأسهم ربما لا تناسبها أيضًا، وربما تناسب آخرين غيرها. ماذا تفعل مديحة لحل هذه المشكلة..؟ وكيف تدير أموال أولادها القُصر دون التعرض للخسارة..؟ وربما تتهمها النيابة الحسبية بالتقصير في أدارة الأموال، مما أدى لخسارتها. ومعلوم أن النيابة الحسبية ومحكمة الأسرة أيضًا أولى مهامها الحفاظ على أموال القُصر.

نصحتها بعض زميلاتها بأن تودع الأموال في مشاركة تجارة مع أحد تجار البندر، ربما يريحها من عناء التجارة. وخوفًا من مديحة مما يحدث في هذه الأيام من نصب على خلق الله بحجة أن التجارة انهارت وخسرت رأس المال؛ رأت مديحة أنه لا يوجد بديل أمامها سوى وضع الأموال تحت البلاطة، كما يقولون، وكيف تفعل ذلك والنيابة الحسبية لن توافقها..؟ وأيضًا فإن الإسلام لا يوافقها على ذلك. فالصحيح في الإسلام أن تستثمر الأموال بما يعود بالخير على المجتمع، وعلى القُصر أيضًا.

تريثت مديحة وفكرت مرات ومرات محاورة لنفسها وهي تقول:

- الأرض لم تجن منها غير الشقاء مع المستأجر ومع المشارك بالزراعة أيضًا.
- البنوك ربوية وفوائدها حرام كما يقولون،
- الأسهم ليس لها خبره بذلك، وتخشى على أموال القصر.
- مشاركة تجارية لم تجد ما تؤتمن عليه أموال القصر.
- تحت البلاطة مخالف لقوانين الشرع والمجتمع أيضًا.

ترى ماذا تفعل مديحة لإدارة أموال أولادها القصر..؟ بعيدًا عن الفوائد الحرام، وبعيدًا عن اتهامها بالتقصير في حق أولادها، وخوفًا على أموال القصر من الهلاك. أرجوكم أفيدوها..

لا غرابه في الأمر فكثير من الرجال لديهم الأموال، وليس لهم القدرة على إدارتها، فكيف بأرملة حديثه السن..؟

(٩)

نظرية أم حمادة وعلم الله الأزلي

أم حمادة هي إنسانه بسيطة، ليس لها حظ من التعليم، و لم يدركها حتى دواوين الكتاب،لها أخ تعب جدًا في البحث عن عروس، كلما تقدم لواحدة ترفضه وبدون سبب، كثرت همومه وبدأ ينزوي في البيت في غرفته، حزينًا مهمومًا يقرأ بعض كلمات الله في المصحف. أخته البسيطة صعب عليها الأمر، ونوت أن تخرجه من همومه، وقفت فوق رأسه وقالت:

(**يا خوي بلاش تحزن، اللي عند الله كتير**) نظر إليها متسائلاً: ماذا عنده..؟

أم حمادة قالت: عنده الحل يا أخوي. فقال: حل إيه يا أختي..؟ قالت مبتسمة: حل مشكلتك والزواج، نظر مستنكرًا كيف..؟ قالت له: (**أم أولادك الحين تبحث عليك**) فقال: كيف حبيبتي وفين أولادي ومين أمهم، قالت له ألم تسمع قول الله في المصحف الذي بيدك..؟ قال: ما هو قول الله أختي..؟ قالت له: ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴾ (١٧٢) الأعراف.

قال لها: مستنكرًا:

نعم قرأتها كثير، ولكن ما مشكلة زواجي وأم أولادي بهذه الآية..؟ فضحكت قائلة: الحل بها أخي.. ألم تفهم من هذه الآية أن جميع الذرية من لدن آدم حتى قيام الساعة شهدت على وحدانية الله، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ وأن الذرية ردت على الله قائلة: ﴿قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا﴾..!

قال لها: فاتحًا فاه، وهو لا يدري ماذا تقصد، رغم ما أوتي من علم جامعي. قالت له: (أخي... معنى أن الله أخذ العهد على الذرية والذرية أجابت، إذن نفهم منها أن جميع المواليد من لدن آدم حتى قيام الساعة خلقت في الأزل، إذن إن كان لك نصيب من الأولاد فلازم تجتمع بزوجة، ولكي تجتمع بزوجة لا بد أن تقابل هذه الزوجة، وعلشان تقابلها وأنت قاعد في البيت لازم هي تبحث عنك، أو أولاد الحلال يدلوكم على بعض) فنظر إليها مستفسرًا لا يدري ما تقول كأنما يسمعها لأول مرة.

قالت له: إذا قدر الله لك الإنجاب فلا بد أنه سيدلك على زوجة لتجتمع بها. قال لها: ونعم بالله أختي. قالت له: إن عدد أولادك خلقوا في الأزل وشهدوا لله بالوحدانية ولكن لن يأتوا إلا بميعاد وهذا الميعاد في علم الله، فلا تستعجل الأمور أختي.

وللقصة بقية

(١٠)

نظرية أم حمادة وعلم الله الأزلي الجزء الثاني

خلصنا في الجزء الأول إلى نتيجة، مؤداها أن أم حمادة توصلت لإقناع أخيها بتوخي الصبر في البحث عن عروس. وأن لكل شيء ميعاد قال لها: أختي إلى متى أصبر..؟ وهل للصبر حدود..؟

قالت له: أخي أنت تعلم أن كل إنسان منا وكل طفل سيولد، لا محالة له عمر عند الله، ولكل طفل ولكل إنسان نهاية في هذه الدنيا. قال لها: أعلم ذلك أختي العزيزة، ماذا تريدين أن تقولي...؟ أم حمادة لم تحصل على أي قسط من التعليم، ولا تفك الخط، و لم يكن لها نصيب فيّ دواوين الكتاب بالقرية قالت له: أعلم أخي قول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (٣٤ الأعراف). إذَا كان للإنسان نهاية مكتوبة عند الله، لن يتأخر عنها، وكذلك له عمر محدد في هذه الدنيا، إذن سيكون له بداية في هذه الدنيا محدده أيضًا. نظر إليها كعادته فاغرًا فاه قائلاً ماذا تقصدين؟ قالت له: لن يموت إنسان إلا إذا استوفي أجله. قال: نعم. ردت عليه قائلة: إذن لن يولد إنسان إلا إذا أتى موعد ولادته أليس صحيحًا؟ رد باستغراب شديد قائلاً: عندك حق. قالت له: لن يولد لك مولود إلا إذا أذن له الله بالمجيء. استحسن كلامها

واعتدل في جلسته قائلاً: زيديني من فضلك. استراحت في جلستها قائلة: وإذا كان للإنسان عمر في الدنيا فسيكون له عمر في رحم أمه أيضًا .. أليس صحيحًا؟ ذهل أخوها من ترتيب الحوار المنطقي، ووقف على قدميه قائلاً: ماذا تريدين.....؟

قالت له: اجلس أخي ولا تتعجل.. إذا كان له عمر في رحم أمه وله نهاية أيضًا يولد بعدها فسيكون له بداية أيضًا. تلعثم أخوها في الرد، لا يدري ماذا تقول ولا كيف يرد عليها، نظر إليها وفي عينيه كثير من التساؤلات.. كانت كلماتها مرتبة ترتيبًا منطقيًا، ولها أقوال واقعية في سردها.

قال لها: زيديني ماذا تريدين؟ قالت له: إذن أخي سيكون لمولودك أيضًا بداية..؟ قال لها: لا أفهم ما تريدين..؟ أي شيء تودين قوله؟ وانصرفت أم حمادة دون أية إجابة... وتركته يضرب أخماسًا في أسداس، بحث عنها لتجيبه فلم يجدها، وسأل الوالدة عنها لتكمل حديثها له وتريحه من عناء التفكير، للأسف اختفت أم حمادة مع زوجها لتحضير الطعام لابنها حمادة الصغير.

أخواتي وأخوتي...

هل لنا أن نقول: إن بداية كل إنسان ستكون بميعاد أيضًا؟ أي هل اجتماع الزوج والزوجة لن يكون إلا بميعاد ومن الله أيضًا؟

مجرد تساؤل ....

(١١)

وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى

تتمتع المرأة بمميزات طبيعية تجعلها أكثر تفوقًا من الرجال، وذلك حسبما جاء بآخر الدراسات العلمية الحديثة، التي أكدت بأن النساء يتفوقن على الرجال بمميزاتهن الطبيعية، فعند الرجوع إلى سن الصغر من السنة الثانية حتى الرابعة من العمر، نرى أن الإناث أسرع تعلمًا للنطق من الذكور؛ وهذا يعود إلى اختلاف معدلات تطور النطق لديهن، الذي يرجع إلى الفرق الواضح جينيًا بين الجنسين.

ومن جهة أخرى تعتبر النساء متحدثات أكثر إبداعًا من الرجال، الذين يحتاجون دائمًا إلى بذل جهد أكبر لتحسين أسلوبهم في الكلام. كما أن الغدة الدرقية التي تحمل الكثير من الوظائف الهامة والمهام المتعددة، هي أكبر حجمًا وأكثر نشاطًا لدى النساء بالنسبة للرجال، وهذا يتأكد أن النساء لديهن الدافع الأقوى والنشاط الأكثر للعمل.

أما معدل نبض المرأة الذي هو أعلى من معدل نبض الرجل، فهو يؤمن لها كمية أكبر وأسرع للدم الغني بالأوكسجين، وتزداد أيضًا نسبة سكر الدم الذي يعتبر مصدرًا أكبر للطاقة البدنية عند النساء بالمقارنة مع الرجال.

وأشار العلماء أيضًا إلى أن المناعة الموجودة لدى المرأة أقوى منها عند الرجل، لأن الأجهزة المناعية عند النساء بشكل عام أكثر تجاوبًا ضد الفيروسات والأمراض، من الأجهزة المناعية للرجال. كما ذكر الباحثون أن جسم المرأة أقدر من جسم الرجل على إنتاج الدم، وأن التنفس عند المرأة أسرع وأكثر، ولكن الرجل يتنفس بعمق أكثر مما يعرضه للتلوث، وأن العظام لدى الرجل أكبر، وترتيب العظام يختلف عند الجنسين في حين نجد المرأة لها حوض أكبر، كما أن فخذ المرأة مع الركبة بهما ميلان أكثر من الرجل.. أما الجلد فتوجد طبقة دهنية تحت الجلد لدى المرأة لا توجد عند الرجل، وتكون كمعطف يدفئ جسمها في الشتاء، ويكون أبرد في الصيف لكن جلد الرجل أسمك فلا تبدو عليه التجاعيد كما في المرأة، وهما بنفس السن، أما دهون جسم المرأة فهو قابل للزيادة بمعدلات أكبر من الرجل، وذلك لاحتواء جسم المرأة على نسبه عضلات أقل مما يحتويه جسم الرجل، وقوه الرجل بالنسبة لوزنه أكبر منها عند المرأة، لذا يسهل على الرجل التخلص من الدهون بسرعة أكثر منها، كما تتفوق المرأة على الرجل بقوه نظام مناعي أكثر حيوية.

أما بخصوص العينين... فتقل مشكلة الإصابة بعمى الألوان لدى المرأة، حيث إن أكثر أنواع هذا المرض شيوعًا أسبابه وراثية لدى الرجال، أما بخصوص الأذنين فتتميز المرأة بحاسة سمع أكبر.. حيث إنها تستخدم الأذنين كليهما عند الاستماع للمحادثة، بينما يفقد الرجل حاسة السمع في مرحلة مبكرة من عمره مقارنة بالمرأة. أما الأنف فيمكن للمرأة أن تشم قدرًا ولو ضئيلاً من رائحة الحلويات والطعام بخلاف الرجل.

وبخصوص القلب.. تعد ضربات قلب المرأة أسرع من ضربات قلب الرجل، أما النظام المناعي فهو يعمل لدى المرأة على مكافحة الفيروسات والبكتيريا والفطريات، على نحو أكثر فعالية مقارنة بالرجل. وقد اكتشف باحثون في بريطانيا، أن أحد الأسباب وراء طول عمر المرأة مقارنة بالرجال، يكمن في أن قلوبهن أقوى وأطيب، فقد وجد باحثون في جامعة ليفربول جون موريس، أن قلوب الرجال تفقد حوالي ربع قوتها وقدرتها على ضخ الدم بين الأعمار ١٨ إلى ٧٠ عامًا، أما قلوب البنات، في المقابل، فتبقى فتية وقوية عند التقدم في السن،

ونتيجة لذلك فإن قلب امرأة مسنة في السبعين من عمرها يعمل بصورة جيدة، كما لو أنها في العشرين وأشار هؤلاء الباحثون إلى أن مدة حياة النساء البريطانيات أطول بحوالي خمس سنوات من الرجال، وقد أصبحت السيدات في سن الستين وما فوق الشريحة الأكثر نموًا وزيادة في المجتمع البريطاني اليوم، ووجد فريق البحث، الذي قضى سنتين في دراسة الشيخوخة عند أكثر من ٢٥٠ رجلاً وامرأة من الأصحاء، تراوحت أعمارهم بين ١٨ و ٨٠ عامًا، وذلك لتحديد التماثلات أو الفروقات في عملية الشيخوخة بين الجنسين، عند التقدم في السن، وأن قلوب البنات كانت أقوى من قلوب الرجال في نفس السن.

أليست هذه الفروقات الواسعة والشاسعة بين الرجل والمرأة في الهيكل الخارجي، وفي التكوين الداخلي وفي جهاز المناعة وفي معظم أجهزة الجسم الداخلية وفي القدرات العقلية وفي القدرات النفسية وفي

الانفعالات الداخلية وفي التواصل الدائم بالعالم الخارجي، دليلاً على أن المرأة تختلف عن الرجل، وأن الرجل يختلف عن المرأة أيضًا.. صدقت ربي وتعاليت.. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى﴾ .

نقول للمطالبين بالمساواة بين الرجل والمرأة، أعيدوا ترتيب أوراقكم من جديد، فلم تخلق المرأة لتؤدي عمل الرجل، و لم يخلق الرجل ليؤدي عمل المرأة.

اللهم علمنا ما ينفعنا وأنفعنا بما علمتنا.

(١٢)

ورع كاذب وحياء مزيف

الورع من الإسلام وقد أمرنا به الرسول الكريم قائلاً: كن ورعًا تكن أعبد الناس، وكن قنعًا تكن أشكر الناس، وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مؤمنًا وأحسن مجاورة من جاورك تكن مسلمًا. قال الفقيه السمرقندي في تعريف الورع: الورع الخالص أن يكف بصره عن الحرام ويكف لسانه عن الكذب والغيبة، ويكف جميع أعضائه وجميع جوارحه عن الحرام. ولكن ديننا كما يحض على الورع أيضًا يحض الإنسان أن يكون قويًا..) المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير) والورع مثل سائر الأعمال الصالحة التي يتقرب فيها الإنسان إلى الله عز وجل لا بُد فيها من الإخلاص.

ذكر ابن الجوزي أن امرأة من الصالحات كانت تعجن عجينة، فبلغها وهي تعجن موت زوجها فرفعت يدها منه، وقالت: هذا طعام قد صار لنا فيه شركاء. وأخرى كانت تستصبح فجاءها خبر زوجها، فأطفأت المصباح، وقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شركاء.

ولا بُد أن يكون الورع بعيدًا عن رياء الناس، ولا يكون الورع إلا بما أمر الإسلام به؛ كأن يغض الرجل عينيه في عرض الطريق، مخافة أن يقع بصره على امرأة، فيكسب ذنبًا ويظل غاضًا لبصره حتى تأتي سيارة مسرعة تدهسه تحت عجلاتها. هل يصير هذا ورعًا؟ وهل نسمي هذا الرجل ورعًا؟

أليس هذا الورع في غير محله؟ ألا نقول أنه ورع كاذب. وكذلك الحياء شدَّد عليه رسولنا كثيرًا قائلاً: (الإيمان بضع وستون شعبة، والحياء شعبة من الإيمان) ويقول الصحابة: كان النبي صلى الله عليه وسلم أشد حياءً من العذراء في خدرها، والحياء لا يمنع الناس معيشتهم و لم يمنع الحياء أم سليم الأنصارية أن تقول يا رسول الله: إن الله لا يستحي من الحق فهل على المرأة من غسل إن هي احتلمت ؟ فيقول لها رسول الله و لم يمنعه الحياء أيضًا «**نعم إذا رأت الماء**». ويقول الشاعر في الحياء:

إذا لم تخش عاقبة الليالي
ولم تستح فاصنع ما تشاء
فلا والله ما في العيش خير
ولا الدنيا إذا ذهب الحياء
يعيش المرء ما استحيا بخير
ويبقى العود ما بقي اللحاء

وكذلك الحياء يكون في محله أيضًا... هل عدم رد الزوجة على التليفون بحجة أن رب البيت غير موجود يعتبر حياءً...؟ وربما المتصل هو رب البيت نفسه أو أبوها أو أخوها متسائلاً عن ظروف طفل مريض بالبيت، هل إصرارها على عدم الرد يعتبر حياءً...؟

أم نقول إنه حياء مزيف..؟ علينا أن ننقي حياتنا من الشوائب ونسير حسب قرآننا وسنة رسولنا حتى لا نقع في دائرة الغلو، ولا نكون تحت وصف، ورع كاذب وحياء مزيف.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(١٣)

عقل أم نقل روح أم جسد؟

العقل نعمة من نعم الله الكثيرة على بني آدم وميزه به على باقي مخلوقاته وأمرنا بالتفكر والتدبر وكذلك أمرنا رسولنا بالتفكير أيضًا كتابنا وسنة رسولنا تدعونا لأعمال العقل ولكن في حدود وبعيدًا على ثوابت الدين أيضًا؛ ليس لنا مجال في كيفية الصلاة ولا عدد ركعاتها ولا توقيتها ولا استبدال شعبان برمضان لصيامه ومهما فسر لنا المفسرون في آية واحدة من آيات الله لن يوفوها قدرها وديننا متجدد بالمعجزات والأسرار إلى يوم القيامة يقول سبحانه وتعالى في محكم آياته :

﴿ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ (١٠٩) الكهف

مهما فسر المفسرون، واستنفذوا مياه الأرض بحارًا وأنهارًا ومحيطات وآبارًا، واعتبروها مدادًا لكتابة هذه التفسيرات، فهي لن تكفيهم ولو استعانوا بمثلها أيضًا. ولكن كثير منا للأسف لا يعترف إلا بما جاء به الأولون، ويرفض كل ما هو جديد بحجة أن المعجزة ليس لها تفسير ويرفضها جملة وتفصيلاً، ولا يعطي للعقل ولا لتفكيره نصيب، وينظر

للكاتب بأنه متهم وعليه إثبات براءته، ويعطي لنفسه وظيفة الحارس على الدين والآخرون متهمون، مثل نظرة المسئول الذي يطلب من الفرد العادي إثبات براءته، وأين كان في لحظة وقوع الجريمة..؟ هل هو مدان حتى يثبت العكس....؟

ونجد في أعمال الصحابة من يؤيد إعمال العقل بديلاً عن النقل، و لم يتهموا بتهمة ترك منطوق رسول الله لهم، عندما قال لهم الرسول كلمات صريحة لا تحتاج إلى تأويل.. حدثنا عبد الله بن محمد بن أسماء حدثنا جويرية بن أسماء عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم الأحزاب: (لا يصلي أحد العصر إلا في بني قريظة. فأدرك بعضهم العصر في الطريق، فقال بعضهم: لا نصلي حتى نأتيها، وقال بعضهم: بل نصلي، لم يرد منا ذلك. فذُكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فلم يعنف واحدًا منهم) فتح الباري بشرح صحيح البخاري.

أعتقد والله تعالى أعلم أن إعمال العقل مطلوب، والتفكير فريضة إسلامية، وأن نكون بعيدين عن ثوابت الدين فقط، أما الدنيا ومعجزاتها فهي من صميم أعمالنا.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(١٤)

هل أنت تجيد فن الحوار أم تضع العربة أمام الحصان؟ دعوة للنقاش

الحكم على إنسان فقد إحدى عينيه بأنه لا يصلح للحياة، فهذا حكم فاسد. والحكم على إنسان وُلد بعيب خلقي في يديه بستة أصابع بأنه غير لائق للزواج، فأعتقد أن هذا كلام لا يدخل العقل، ولا يسلم به عاقل، والحكم على أي إنسان حتى يكون صحيحًا، لا بُد أن يكون حكمًا شاملاً لكل جوانبه، وليس من جانب واحد. فإذا أردت أن أحكم على كاتب مثلاً يلزمني كل جوانب حياته، فإذا لم أتمكن من ذلك فعلى الأقل يلزمني أن أحكم من خلال كتاباته جميعها وليست إحداها.. وإذا حكمت عليه من خلال موضوع معين فالمفروض أن أمعن في كل الموضوع، من جميع جوانبه، وأفهمه جيدًا، وبعد ذلك أقول وجهة نظري..لا يجوز أن أتربص بكاتب لكي أتصيد أخطاءً له.

فمثلاً لا يجب أن أتصيد كلمة أو جملة في مقال وأتهمه، أو أتصيد جملة لكي أهدم كل المقال.. الاختلاف له فنون، ضع نفسك مكملاً للآخر ليس هدامًا له. ضع تصورك كجزء مكمل للموضوع وليس كنقيض له. ضع يدك في يد الكاتب للوصول لنتيجة، ولا تضع العربة أمام الحصان

لتوقف المسيرة. من المفترض أن مهمتنا جماعية، واختلافنا للوصول إلى نتيجة تفيد الجميع.

إذا كانت نوايانا حسنة فلماذا نضع العربة أمام الحصان لنوقف المسيرة بحجة الاختلاف؟ الاختلاف يكون من وجهة نظري الشخصية، بأن كُلاً منا يكمل الآخر لا يهدمه.

أعتقد أنني سأجد من يؤيد وجهة نظري هذه.

(١٥)

ازدواجية في التفكير أم انفصام في الشخصية أم ماذا ؟

يحلو للبعض أن يظهر بصوره الفارس في تفكيره وأعماله، ويأتي بأعمال متناقضة، فمنهم من يصلي الصلوات ويصوم ويأتي بأعمال كلها خير، وفي نفس الوقت يأتي بالمتناقضات من رشوة وترك العمل والغياب بحجة التمارض، وفي آخر الشهر يقبض راتبه كاملاً، علاوة على الحوافز والبدلات.

حكى لي صديق أنه رأى بأم عينيه شخصًا ذهب مع جماعة للشهادة أمام المحكمة، وهي شهادة زور، ويعلم هو ذلك، وأثناء انتظار الجلسة سمع آذان صلاة الظهر، فاستأذن لأداء الصلاة في جماعة قبل فوات موعدها، وبعد الصلاة شهد شهادته الزور،، وقبض مبلغًا من المال مقابل شهادته، كيف يصلي في جماعة وفي نفس الوقت يشهد شهادة زور مقابل المال.....؟ هل يعلم أنها حرام..؟ أم هذا نوع من الفهلوة..؟ ألم يسمع قول الصادق الصدوق: (**إلا وقول الزور إلا وقول الزور**) ...؟! أليست شهادته زورًا..؟ أليس ترك العمل قبل موعده، وكذلك الحضور متأخرًا عن موعده نوع من السرقة.؟ أليس الراتب مقابل ساعات محددة ومجهود محدد من قبل صاحب العمل، سواء كان حكومة أو قطاع خاص.؟

أليس الموظف يقبض راتبه آخر الشهر بعد أداء أعمال بعينها، في ساعات بعينها.؟ أليس عليه أداء واجبه أولاً ثم استلام راتبه بعدها.؟ أليست الرشوة حرامًا بكل أشكالها.؟ ودليلنا قول الرسول عليه الصلاة والسلام: (هل لو قعد أحدكم في بيت أبيه أو أمه أكان يهدى إليه.؟)

كل موظف لا يأتي في موعده، أو يترك العمل قبل موعده، فراتبه يشوبه الحرام، بقدر ما ترك من واجبات عليه. الخطر كل الخطر يأتي من الداخل أكثر من الخارج. الدولة القوية هي قوية بأبنائها وبأعمالهم، وبتفانيهم في أداء واجباتهم تجاه وطنهم.

إن الدولة مثل جسد الإنسان، إذا كان قويًا من داخله سيكون حصنًا منيعًا ضد قوى الخارج.. أليس كل تفكير الغرب هو تفتيت الأمة من داخلها، وتفتيت الدول من داخلها أيضًا.؟

إن على الدولة أيضًا واجب قومي، ألا وهو تثقيف وتوعية المواطن بمهامه وواجباته تجاه وطنه. أليست الرشوة مقابل الحصول على وظيفة حرام أيضًا.؟ والمفروض أنها تكون بإعلان ومسابقة حقيقية لمن يستحقها حسب شروط وواجبات ومقتضيات الوظيفة.؟ أليست الحوافز الفردية لأشخاص بعينهم دون سواهم تكون حرامًا أيضًا.؟ حتى وإن منحت من السيد المدير شخصيًا، أليس الحرام هو أن يأخذ الإنسان ما لا يستحق.؟ أليست الوظيفة إن كانت مستحقة لآخر وأخذها إنسان بفهلوته أو برشوة تصير حرامًا.؟ أليس طريق الحلال هو طريق البركة.؟

جميعنا يعمل ويجد ويكد ليوفر مستقبلاً باهرًا مزهرًا لأولاده، وجميعنا يعلم أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين، فلماذا لا نسلك طريق الله في كسب الرزق.؟ أليس الله تعالى هو القائل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ الذاريات (٢٢) . . . إذا كنا نكد ونعمل من أجل أولادنا، فهذا حقنا وحق أولادنا علينا أيضًا، ولكن ألا نعلم أن الله ضمن لنا مستقبل أولادنا بطريقه هو وليس بطريق الفهلوة. أليس المولى هو القائل ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النساء (٩) . لقد ضمن المولى لنا طريق أولادنا ومستقبلهم، بتقوى الله والقول السديد ﴿فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ النساء (٩) . أليست قصة الجدار في سورة الكهف خير شاهد على ذلك: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ الكهف (٨٢) . لقد ضمن الله للغلامين اليتيمين المحرومين من أي قوة أو سند لهم في الدنيا أموالهم وكنزهم بصلاح الأب: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ الكهف (٨٢) .

وسخر الخضر وموسى لإقامة الجدار حفاظًا على أموال أطفال أيتام لا حول لهم ولا قوة، وجعل صلاح الأب ربما سببًا وحيدًا للحفاظ على أموالهم.. أليس الله هو القائل مخاطبًا المؤمنين: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ .

التوبة (٢٨) لقد حرم الله دخول المشركين مكة والمدينة، مع أن تجارتهم كانت سببًا رئيسيًا في رواج السوق وانتعاشه، وخاطب المؤمنين بما سوف يقولون ويتساءلون قائلاً لهم: ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ ﴾ . ألا نفهم من هذه الآية أن الله يقول لنا عليكم الطاعة وعليَّ الرزق.؟

كم اختلط على الناس طريق الحلال في كسب رزقهم، وفي إعالة أطفالهم، ونسوا وعد الله لهم. إن الرشوة وأخذ وظيفة بغير حق أو ترك العمل قبل موعده للتكسب من عمل آخر، أو حضور موظف متأخرًا بعد موعده، أو كسب حوافز بدون وجه حق، فهو حرام لا شك فيه، وكل كسب من وراء ذلك فهو حرام أيضًا، لمن فهم الدين. وإني أرجو أن تقوم الدولة بواجبها من توعية للناس بطريق العمل وكسب الرزق الحلال، فلماذا لا تعمم خطبة الجمعة على مستوى البلد جميعها عن موضوع الرزق والعمل والكسب الحلال، ولماذا لا تطبع نشرة بذلك توزع على المصالح الحكومية وعلى القطاع العام، توضح للموظفين ما هو طريق الرزق الحلال، وكذلك واجبات الموظف تجاه بلده وأمته...؟ أدعو الله أن يبصرنا بأمور دينه، لتعيننا على أمور دنيانا وكسب رضاه.

والله الموفق لما يحب ويرضى.

(١٦)

الرؤيا

الرؤيا موضوع لا نستطيع أن نتجاهله أبدًا، من منا لم ير في منامه رؤيا.؟ وتحير في تأويلها، ونعلم على مر العصور كثيرًا من الرؤى قد غيرت كثيرًا من الأحداث عالميًا، رؤيا سيّدنا يوسف:

﴿ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴾ (٤) يوسف. وكيف تحققت.؟ ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ (١٠٠) يوسف.

وكذلك رؤيا ملك مصر: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ (٤٣) يوسف. واقتنع ملك مصر بتأويل يوسف لرؤيته ومدى أهميتها لاقتصاد مصر في هذا الوقت قائلاً: ﴿ وَقَالَ

الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ (٥٤) يوسف. ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ (٥٥) يوسف. ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاءُ وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ (٥٦) يوسف.

ونعلم مدى أهمية رؤيا الملك، ومدى حرصه على تأويلها، ومعرفة المراد منها، وكيف استفادت مصر والعالم أيضًا من نتيجة هذا التأويل، ومن رؤيا الملك أيضًا لا يشترط أن يكون صاحب الرؤيا مسلمًا مؤمنًا متوضئًا قبل النوم؛ فرؤيا ملك مصر تحققت وهو ليس على دين الإسلام واستفاد منها العالم كله.

ولا ننسى رؤيا سيدنا إبراهيم أبو الأنبياء، وكيف أصبحت عبادة نمارسها إلى يوم الدين، ونتقرب بها إلى الله بإراقة الدماء كلّ عام، بعد صلاة عيد الأضحى المبارك: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١٠٢). الصافات ﴿فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ﴾ (١٠٣)، الصافات. وكيف أن الله فدا الذبيح إسماعيل عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام..﴿وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ﴾ (١٠٤)، الصافات ﴿قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ (١٠٥)، الصافات.

ثلاث رؤى غيرت مسار التاريخ، فهل للرؤيا في حياتنا أهمية.؟

ربما... ولم لا..؟

(١٧)

رؤيا ملك مصر والخير الوفير لعالم الأمس

هل هو إخلاص منه أن يطلب للرؤيا تفسيرًا.؟ هل هي ثقة فيما رأى أم فزع مما رأى.؟ هل هي قناعة منه بما رأى أم تسلية بما رأى.؟ ملك مصر على قمة السلطة والجاه في هذا الوقت، يملك الكثير وتجري الأنهار من تحته، ويطلب تفسيرات لرؤياه، هل هو يعقل ما يفعل أم أنه كان مفزوعًا بما رأى.؟

أخوتي....

لقد كانت رؤيا الملك وتفسير الصديق يوسف لها، واستجابة الملك الفورية بالتنفيذ، هي عين الصواب. ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾ .

هذه رؤيا الملك التي رآها في منامه. لماذا طلب لها تفسيرًا.؟ وكيف قبل تفسير سجين في أحد سجونه.؟ ولماذا استجاب لهذا التفسير.؟ أسئلة كثيرة وعديدة لا نجد لها إجابة.

اليوم نستطيع أن نقول إن الملك كان على حق عندما طلب التفسير للرؤيا، وكان على حق أيضًا حينما وافق على التفسير، وكان على حق أيضًا حينما استجاب لخروج السجين، ألا وهو الصديق يوسف من السجن، وكان على حق عندما استجاب لدعوة يوسف بإسناد الوزارة إليه،ألا وهي وزارة مصر كلها، بل احتمال وزارة العالم بأكلمة التي سيسند إليها توزيع التموين اللازم لعالم الأمس.

ألم يأت أخوة يوسف إلى مصر طالبين التموين اللازم لهم ولأسرتهم..؟ ماذا كان تفسير يوسف لرؤيا الملك..؟ ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾، ينبه الصديق يوسف على ما سيكون وما هو آت، ويعلمهم كيفية التعامل مع خيرات الأرض للمستقبل البعيد، (ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ)، ويحثهم على تخزين الثمار بطريقه تحفظ لها سنين قادمة سنحتاجها سبع سنين أخرى، ويزيد في تأكيد عظمه الأمر: ﴿ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ ﴾ أي ستمر عليكم سنون أخرى تحتاجون فيها لهذا الخير الوفير، فلا بُد عليكم من التعامل بحذر مع هذا الأمر، ولقد كان الملك حكيمًا فعلاً في تصرفاته، وكان واثقًا من رؤياه، فاستجاب على الفور قائلاً: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ لا بد لي من رؤيته ومناقشته ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ .

نعم استخلصه من بين سكان المعمورة لأنه وثق به وتفاعل مع تفسيره للرؤيا، واقتنع بها، وهنا شعر الصديق بأن دوره قد أتى، ولا بد عليه من التنفيذ الفعلي لما هو آت. قال للملك: ﴿قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ وبذلك اكتملت ليوسف الصديق وزارته، وأصبح المسئول عن إدارة الخزانة، ليس لمصر وحدها، بل للعالم أجمع...

من هذه القصة هل يحق لنا نحن الشعوب الإسلامية أن يقص علينا مسئولونا رؤياهم ويطلبون لها تفسيرًا، ربما يكون خلاص الأمة من أزمتها في رؤيا أحدهم.. ولمَ لا.؟

(١٨)

قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ

كلنا يعلم أن الصديق يوسف مكث في السجن بدون جريمة تذكر، سوى أنه رفض ارتكاب الفاحشة مغاضبًا ربه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾، طالما أنه لا حيلة لديه سوى ارتكاب الفاحشة لينجو بنفسه، وربما اشتاق يوسف إلى الحرية وأراد الخروج من سجنه بدليل قوله ﴿اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ﴾، ونلاحظ هنا قوله (اذْكُرْنِي)، (عِندَ رَبِّكَ)، ولم يقل عند (ربي)، أو عند (ربنا)، فالواضح أن يوسف الصديق كان يعبد الله حق العبادة على دين آبائه وأجداده الدين الحنيف، ربما وسط قوم لا يعرفون الله أو عند قوم يعرفون إلهًا آخر غير إله يوسف، وهذا واضح في قول يوسف: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾، ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾، ومن الواضح أن يوسف كان يعلم أن القرار بيد الحاكم، لا بيد غيره، وكان يوسف يأخذ بالأسباب الدنيوية (اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ)، ولكن إرادة الله لم تحن بعد لخروج يوسف إلى الحرية، ربما لأن الوقت ليس في صالح يوسف في هذا الوقت، فنسي الرجل أن يبلغ أمنية يوسف

للملك: ﴿ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ ، هذه إرادة الله.

ولكن حينما أراد الله ليوسف الخروج، قدر للملك أن يرى رؤيته: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ ﴾ ، في هذا الموقف العصيب على الملك تذكر ذلك الرجل أن يوسف الصديق لديه الحل، فصاح قائلاً: ﴿ أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ ﴾ ، توجه الرجل إلى يوسف في سجنه قائلاً له: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

ومن سياق القرآن الكريم يتضح أن الرجل ذهب إلى يوسف في سجنه، و لم يحضروا يوسف لتأويل الرؤيا في دار الملك، بدليل قول الرجل ليوسف: ﴿ لَّعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ ،وبعد أن علم الملك بتأويل الرؤيا ما كان منه إلا أن أمر بإحضار يوسف: ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ ﴾ . ورغم ذلك لم يلب يوسف داعي الملك، ويخرج من السجن إلا بعد البحث في لب قضيته وأساسها، وما كان فيها، وقال لداعيّ الملك: (قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ) . وبعد البحث والاستفسار وثبوت طهارة يوسف ونزاهته ﴿ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا

عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ ، شعر الملك أنه يحتاج إلى يوسف وإلى عقليته وطريقة تفكيره، فما كان من الملك إلا أن قال: (وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي)، وزيادة على ذلك من الملك إلى يوسف (إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ) .

وكان يوسف يقظًا عالمًا بكثير من الأمور، ربما يجهلها غيره، ويجهلها كثيرون (مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي) قال للملك (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ)، ليست منحة منك ولا تفضلاً (إِنِّي حَفِيظٌ)، على هذه الخزائن (عَلِيمٌ)، بما تحتاج من علم ودراية. لم يترك يوسف الدعوة للدين الحق حتى داخل السجن عندما سأله الفتيان عن رؤيتهما، وأراد أن يجيبهما، ما كان منه إلا أن يشرح لهما الدين الحق أولاً، ثم يجيبهما بعد ذلك قائلاً: (قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ) ثم (وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ) ثم (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) ثم (مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ)، بعد ذلك كانت إجابة يوسف لهما: (يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ

أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ) .

ونلاحظ أن يوسف لم يفرض دعوته على الناس، ولكن تحين الفرصة المواتية للاستماع إليه عند طلبهم تفسير الرؤيا، وأن يوسف طلب من الملك أن يكون وزيرًا بمجرد استحسان الملك لتأويله وطريقه تفكيره. وأن يوسف ذكّر الملك بأنه حفيظ على هذه الوزارة، وعليم بما تحتاج من علم ودراية، وأن يوسف كان يأخذ بالأسباب الدنيوية (**اذكرني عند ربك**)، وأن يوسف كان يعلم أن القرار بيد الملك وحده، وأن يوسف لم يترك الدعوة للدين الحق، حتى وهو داخل السجن.

أما قول يوسف (اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ)، ولم يقل اجعلني على خزائن مصر.. فهل من الممكن أن نقول بأن مصر كانت مسؤولة عن إطعام كل سكان الأرض.؟ وهل من الممكن أن تعود لذلك يومًا ما.؟
ربما...

اللهم علمنا ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا.

(١٩)

الصديق يوسف ابن يعقوب، والوقت المناسب لاتخاذ القرار المناسب

وقفة مع سيدنا يوسف عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام، واتخاذ قراره المناسب في الوقت المناسب، ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ هذا قرار سيدنا يوسف حيث طلب من إخوته الذين لا يعرفونه، أن يحضروا له أخيه الأصغر، وهو في نفس الوقت أخوهم من أبيهم من أم أخرى هي أم سيدنا يوسف، وقد جاء قراره بعد أن جهزهم بما يحتاجون إليه من مصر إلى أهليهم وذويهم ﴿ وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ قائلاً لهم: ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ موضّحًا لهم كرمه عليهم بأنه أوفاهم الكيل وأنه أحسن نزلهم، ﴿ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ ألا يحق لي أن أطلب هذا الطلب، وأنا أحسنت إليكم ووفيتكم ما تحتاجون..؟ وكانوا هم في حيرة من أمرهم حيث إنهم لا يعرفون أنه يوسف أخوهم، ابن أبيهم، وكان هو عليه السلام يعرفهم بنص القرآن ﴿ وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴾ تكلم يوسف معهم باللغة التي يفهمونها، والتي يفهمها العالم اليوم، ألا وهي لغة الواثق لغة القوة، حيث

كان يوسف يملك خزائن الأرض بنص القرآن، ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ ﴾ وكان قد طلب يوسف من العزيز قائلاً: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ﴾ حيث إنه يرى في نفسه القدرة على إدارة شؤون الأرض من خزائن ومنتجات قائلاً للعزيز: ﴿ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾ أي حفيظ لكل ما تدري من منتجات وثمار، وكذلك عليم بما سيكون وعليم، بما أدير من أمور مثل كيفية الحفاظ والتخزين للزرع، أليس هو القائل في تفسير رؤيا العزيز: ﴿ فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴾ نعم أيها الصديق تعلمنا كيفية تخزين منتجات الزرع للأعوام القادمة، ونعلم أنه الصديق بنص القرآن، على لسان صديقه الذي كان معه في سجنه، وهو أعلم به وبأخلاقه، عندما خاطبه قائلاً له موجها كلامه ليوسف: ﴿ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا ﴾ كنت حكيمًا أيها الصديق، ولم تراوغ مع أبناء يعقوب في طلبك، بل قلت لهم بصيغه يعلمها العالم أجمع الآن، تقوم على شيئين اثنين لغة الواثق ولغة القوة ﴿ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ ﴾ قلتها لهم ولم تنس أن تذكرهم بشيئين اثنين كذلك،ألا وهما الوفاء بالكيل وكذلك إكرام نزلهم، ﴿ أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾ ولم تترك لهم فرصة للتفكير والمراوغة منهم، بل قلت بصفه الواثق القادر على تهديده لهم بشيئين اثنين أيضًا ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ ﴾ مهددًا إياهم بما سيحتاجون لك مستقبلاً، ألا وهو الكيل والعودة مرة أخرى قائلاً لهم: ﴿ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ إنها لغة الواثق من نفسه ومن قدراته ومن إمكانياته أيضًا، ليس لكم إلا أن تأتوا به كما أقول لكم، وهذه

اللغة هي التي يفهمها أبناء يعقوب ويفهمها العالم اليوم، فما كان منهم إلا أن استجابوا في الحال قائلين: ﴿ قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ ﴾ استجابوا في نفس اللحظة لأنهم لا يملكون غير الاستجابة وتلبيه الأمر، وليس الطلب، لأن يوسف كان يأمرهم، ولم يكن يطلب منهم، وزادوا في تأكيد وجدية العمل قائلين: ﴿ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ ﴾ فلما فهم أبناء يعقوب الدرس وكانوا في حاجة إلى يوسف وإلى خزائنه.. وما كان لهم إلا الاستجابة لأمره حرفيًا، وكان له ما أراد حيث جاءوا له بأخيه ﴿آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ فقال يوسف لأخيه: ﴿ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾

إن لغة الواثق القادر على اتخاذ قراراه حسب قدراته وإمكانياته له ما يشاء.. ألا يحق لنا أن نقول: إن الذي يملك قوت يومه هو الذي يملك اتخاذ القرار.؟

أجيبوني من فضلكم..؟

(٢٠)

يعقوب بن اسحق والد الصديق يوسف وحكمته الربانية

لقد كان سيدنا يعقوب حكيمًا في أفعاله وأقواله، وفي طلباته من أبنائه أيضًا، فعندما جاءه الصغير يوسف قائلاً: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ربما علم سيدنا يعقوب سلفًا بما يدور بين أبنائه، حول أخيهم يوسف ومحبة أبيه له، قال لابنه يوسف الصغير: ﴿يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾

إنها الحكمة من سيدنا يعقوب، لا يريد لابنه الصغير مكائد أخوته، وهو صغير لا يستطيع مقاومتهم، وأراد أن يبث الطمأنينة في قلب صغيره قائلاً له: ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَى آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ وبشره بمستقبل ربما يختلف عن مستقبل أخوته مؤكدًا له بقوله سيجتبيك ربك،سيعلمك تأويل الرؤيا، وسيتم نعمته عليك ليس فقط، بل على آل يعقوب أيضًا وكان أخوة يوسف يكنون له سوءًا..
﴿قَالُوا لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾

نحن أولى بهذه المحبة من يوسف وأخيه، وأتخذ الأخوة فيما بينهم قرارهم على أن يلقوا يوسف الصغير في الجب، فجاءوا إلى أبيهم قائلين: ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ،أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ وهنا تتجلى حكمة سيدنا يعقوب، فهو لم يرفض الطلب رغم خوفه على ابنه، ورغم علمه بمكائد أبنائه ليوسف؛ إنما حذرهم بما سوف يكون منهم تجاه يوسف قائلاً:

﴿ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴾ هذا تحذير لهم وتنبيه لهم أيضًا بما سيكون، وعندما فعلوا فعلتهم ونالوا ما أرادوا رجعوا إلى أبيهم قائلين: ﴿ وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴾

لقد حدث ما كان يتوقعه سيدنا يعقوب وما كان يخشاه، وهنا تتجلى حكمه سيدنا يعقوب مرة أخرى قائلاً لهم: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ وفي السجن تجلت حكمه سيدنا يعقوب أيضًا بما بشر به ابنه يوسف سابقًا، وظهرت على يوسف علامات الصلاح والتقوى، ﴿ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ وقدرته على تأويل الرؤيا قائلاً لهم في تفسير الرؤيا: ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾

وتجلت حكمة سيدنا يعقوب أيضًا بعد خروج يوسف من السجن وظهرت بشارته، ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ ومكن الله ليوسف أيضًا وهذه بشارة أبيه له وهو صغير ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ومن حكمة سيدنا يعقوب أيضًا رده على أبنائه عندما قالوا له: ﴿يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ تعهدوا لأبيهم بحفظ أخيهم بنيامين، كما تعهدوا سابقًا بحفظ أخيهم يوسف ﴿أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ في كلتا الحالتين تعهدوا بالحفظ ومن حكمة سيدنا يعقوب أن ذكرهم بما تعهدوا به سابقًا مع يوسف قائلاً لهم:

﴿هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾

وذكرهم بأن الحفظ من الله ليس منهم قائلاً لهم: ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ ومع ذلك تعهدوا له بحفظه أيضًا مرة ثانية قائلين: ﴿يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ ويظهر جليًا خوف سيدنا يعقوب على ابنه الثاني بنيامين فيقول لهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ﴾ وتظهر حكمة سيدنا يعقوب أيضًا في أن أقدار الله أكبر من وعدهم له، وأكبر من حفظهم لبنيامين قائلاً في استثناء: ﴿إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ﴾

هذه حكمة جميلة من سيدنا يعقوب، وإيمان كامل منه بأقدار الله عز وجل، ومن حكمته أيضًا أن قال لهم: ﴿لاَ تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾

ومن كمال إيمانه بالله يظهر في قوله لهم: ﴿وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ ومن كمال إيمانه أيضًا يظهر في قوله لهم: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا﴾ يرجو من الله أن يرجع له بنيامين؛ بل يرجع له يوسف أيضًا. فهو لديه إيمان وثقة في الله بعودة بنيامين، وعودة يوسف أيضًا، واستمر سيدنا يعقوب في إيمانه بالله وثقته في الله وقال لأبنائه: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ﴾ مازال يشعر بأن الله سيعيد له يوسف رغم هذه السنين، وكان إيمان سيدنا يعقوب إيمانًا شفافًا يتيح له رؤية المستقبل كأن يشعر بالأحداث قبل وصولها إليه قائلاً: ﴿إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ﴾ ومن قبلها قال لابنه يوسف ﴿وَكَذَلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ﴾

وتحقق لسيدنا يعقوب أمنيته لثقته في الله، وكمال إيمانه به، وعندما جاءه البشير وألقى القميص على وجهة قال لهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾ وكان رحيمًا بأبنائه رغم ما فعلوه بيوسف وأخيه بنيامين قائلاً لهم: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ عندما اعترفوا بالخطأ وطلبوا المغفرة قائلين: ﴿يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ

لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِين ﴾ ومن حكمة سيدنا يعقوب أنه لم يتعال، أو يترفع على قوانين مصر وقوانين الملك في ذلك الوقت، بعد دخولهم على يوسف، وآوى يوسف إليه أبويه:

﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ﴾ ويذكر سيدنا يوسف أباه سيدنا يعقوب قائلاً: ﴿ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾، ويدعو سيدنا يوسف قائلاً: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مسلمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا

(٢١)

الطفل اليتيم واليوم العالمي

اليتيم موضوع له أهمية كبيرة في حياتنا وحياة البشرية كلها، والعناية به وتأمين مستقبله أمر في غاية الضرورة، لكي يصبح اليتيم إنسانًا سويًا في مجتمعه، ويسلم المجتمع من مشاكله أيضًا، فإذا نشأ محرومًا بلا شك سيكون عاملاً هدامًا في مجتمعه، والقرآن الكريم حدثنا بما لا يدع مجالاً للشك في أهمية الاعتناء به، أليس الله سبحانه وتعالى هو القائل في محكم التنزيل:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ﴾ (١٥٢)، الأنعام وأيضًا قوله تعالى:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾ (٣٤)، الإسراء وكذلك: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (٨)، الإنسان ﴿كَلَّا بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ﴾ (١٧)، الفجر ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ (٩)، الضحى... وكذلك رسول البشرية صلى الله عليه وسلم الذي اعتنى باليتيم وحثنا على ذلك قائلاً: (**أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا**). وأشار بالسبابة والوسطى، وفرج بينهما شيئًا. من منا لا يريد أن يكون بجانب رسول الإنسانية صلى الله عليه وسلم.؟

وهو القائل أيضًا: (**اجتنبوا السبع الموبقات**. قالوا: يا رسول الله، وما هن .؟ قال: الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات). حيث إن الطفل اليتيم هو جزء من مجموعة أطفال أخرى تحتاج إلى الرعاية، وإلى أن نأخذ بيدها إلى طريق الصواب، ومنها الطفل المحروم الذي له أب وأم وليس لهم دخل، وكذلك الطفل اللقيط.

والعالم اليوم بكامله يدعو إلى الاهتمام بالطفل اليتيم، وتخصيص يوم له في كل عام. فهذا شيء جميل فعلاً، ليلفت النظر إلى هؤلاء الأطفال المحرومين من العناية والرعاية، أيضًا هذه الدعوة العالمية التي تنادي بتخصيص يوم لزيارة الطفل، فإنها فكرة جميلة بكل المقاييس لإضفاء البهجة على وجوههم.. وربما ينصرف الجميع بعد ذلك، تاركين اليتامى في دور الرعاية بعد أن يكونوا أدوا ما عليهم من زيارة.

ولكن أود القيام بعمل برنامج يضمن لهؤلاء الأطفال مستقبلهم الذي ينشدونه، ويسير هذا البرنامج بالتوازي مع اليوم العالمي للطفل، ولا ينقص من قدره، ولا يوقف مسيرة أحد، بل على كل منا أن يضع نفسه في خدمه الأطفال المحتاجين.

فكرة بسيطة... وهي دعوة أصحاب الفكر من هيئات حكومية، ليجتمعوا فيما بينهم وهذا لن يكلف الدولة شيئًا وهم: هيئة البريد، والشؤون الاجتماعية، للتنسيق فيما بينهما لعمل دفتر توفير لكل طفل

محتاج (**يتيم أو لقيط أو محتاج**)، هذا الدفتر سيكون له مزايا عدة منها:

ألا يتم الصرف منه إلا بمعرفة اليتيم، بعد بلوغه السن القانونية، وبمعرفته، ليبدأ به حياته الخاصة من شقه وزواج...الخ. وهذا الدفتر سيعطي فرصة كبرى لأصحاب الأموال الذين يريدون التبرع، ولكنهم يخافون على أموالهم من أن تستفيد بها جهات أخرى غير الطفل المحتاج. وهذا الدفتر سيعطي الفرصة لأناس كثيرين لديهم أموال، كسبوها من طرق متعددة ويريدون أن يكفروا عنها، وبلا شك سيكون هذا الدفتر وسيلة سهلة لهم..

هذا الدفتر ستكون به جميع بيانات الطفل المحتاج، وعنوانه ورقمه القومي، ولذلك سيتيح لمن هم بالخارج أيضًا فرصة إرسال أموال زكاتهم، إلى هذه الدفاتر بالاسم، ويضمنوا وصولها لهؤلاء الأطفال. هذا الدفتر سيتيح لمن يريد التبرع، ولا يريد ذكر اسمه، أن يضع أمواله في دفاتر الأطفال تحت اسم فاعل خير. هذا الدفتر والرقم القومي والعنوان (محافظة، مركز، قرية) سيتيح لمن أراد أن يتبرع لأبناء قريته أو مركزه أو محافظته، أن يعمل حصرًا بهم ويقسم الأموال عليهم، ويضعها في دفاترهم.

ملاحظة هامة:

الرقم القومي والعنوان كاملاً مع البرنامج كذلك لمن سيقوم بمهمة البحث، ويعطي المتبرع أرقام دفاتر الأطفال المطلوب التبرع لهم، سواء في المحافظة أو المركز أو القرية أو الحي، وهذا لن يكلف الدولة مليمًا واحدًا سوى البرنامج، وثمن الدفتر، والباقي سيتكفل به أصحاب الخير

من متبرعين قد لا يجدون محتاجين، أو متبرعين يخافون على أموالهم من أن تستحوذ عليها هيئات أخرى غير الطفل المحتاج.

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**من سن سُنة حسنة فله أجرها، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شيئًا**) صدقت سيدي يا رسول الله.. صلى الله عليك وسلم..

هل أجد من يتبنى هذه الدعوة..؟ سواء جهة حكومية أو هيئة، أو أصحاب قلوب رحيمة، لنتكاتف معًا في هذا العمل لنفوز برضا المولى سبحانه وتعالى...؟

أسأل الله أن يعلمنا ما ينفعنا. وأن ينفعنا بما علمنا.

(٢٢)

المشروع النهائي لدفتر التوفير

هذا الدفتر سيكون له مزايا أخرى منها:

هذا المشروع سيكون مجرد صله فقط بين المتبرعين والأطفال، هذا المشروع لن يحتاج إلى أماكن أو شقق من متبرعين أو أماكن إيجار ليتواجد بها الأطفال، هذا المشروع لن يوقف مسيرةأي مشروع آخر يخص الأطفال، بل يسير معه بالتوازي جنبًا إلى جنب، هذا الدفتر سيدرج به تاريخ، لن يتم الصرف قبله إلا بمعرفة الطفل بعد بلوغه السن القانونية، وهو تاريخ اليوم الثاني من بلوغ الطفل السن القانونية، هذا الدفتر يتم عمله بمعرفة مجلس الإدارة المقترح (من أكثر ١٥ عضوًا تبرعًا)، مع البنك الرئيسي ويكون المجلس هو الوصي الطبيعي للطفل على الدفتر، هذا الدفتر لن يتم الصرف منه مطلقًا سواء الولي الطبيعي أو الوصي الطبيعي (مجلس الإدارة).

البنك المقترح للمشروع:

يفضل للبنك المقترح للمشروع أن يكون له فروع على مستوى جميع مراكز الجمهورية، بعد عمل الدفاتر بمعرفة المجلس المقترح، والبنك

الرئيسي توضع دفاتر كل مركز معين في فرع البنك الذي يخص أطفال هذا المركز أو أقرب فرع بنك لهم، وللطفل بعد بلوغه السن القانونية أن يتسلم دفتره من أقرب فرع بنك له.

المرحلة الأولى للمشروع: ستغطي جميع الجمعيات والهيئات التي تعمل في كفالة أو رعاية الأطفال

المرحلة الثانية: وهي إضافة جميع الأطفال المحتاجين للمساعدة، ويعيشون بين أهليهم، وليسوا مدرجين في جمعيات معينة.

من هم المستحقون لهذا الدفتر..؟

١–جميع من هم بدور الأيتام، والمكفولين على حساب هيئات أخرى، كمساجد أو جمعيات حتى ٣١–١٢–٢٠٠٥ كمرحلة أولى.
٢–جميع الأطفال المحتاجين، وليسوا أيتامًا، يحدد ذلك بحث اجتماعي من الجهات المختصة كمرحلة ثانية
٣–من يتم السيطرة عليهم من أطفال الشوارع، وإيداعهم بالدور السابقة كمرحلة ثالثة.
٤–كل ما يستجد من حالات أخرى، من أطفال بسبب حوادث تحدث للأهل؛ من موت أو إفلاس وخلافه.

ماهية الدفتر المطلوب ونوعيته

١- هو دفتر توفير عادي، له خواص عدم الصرف لأي جهة أو فرد من ولي طبيعي أو وصي بقرار محكمة.
٢- يدرج بالدفتر تاريخ لا يستحق الصرف قبل هذا التاريخ، الذي سيكون اليوم الثاني لبلوغ الطفل السن القانونية.
٣- الطفل فقط هو الذي له حق الصرف من هذا الدفتر، بعد بلوغه السن القانونية.
٤- الدفتر يكون موجودًا في أقرب فرع للبنك قريب من محل إقامة الطفل.
٥- الطفل فقط هو صاحب الحق في استلام دفتره من البنك، وذلك في اليوم الثاني من بلوغه السن القانونية.

من هو الوصي في هذه الحالة للطفل..؟

١- يتم تكوين مجلس إدارة من المتبرعين، في حدود ١٥ متبرعًا يترأس المجلس أحدهم بالانتخاب فيما بينهم أو أكبرهم تبرعًا.
٢- يكون هذا المجلس هو الوصي الطبيعي على جميع دفاتر التوفير، (ولا يحق للمجلس الصرف من أي دفتر).
٣- يتقدم المجلس بمستنداته لكل طفل على حده، للفرع الرئيسي للبنك، ويستخرج دفاتر التوفير المطلوبة.

٤- يقوم المجلس بإيداع كل مجموعة دفاتر لمركز معين أو حي معين في أقرب فرع للبنك كمرحلة أولى

٥- كل ما يستجد من حالات بعد ذلك لأطفال جدد (بعد عمل بحث اجتماعي بمعرفة الجهات المختصة) ترسل لمجلس الإدارة لعمل الدفاتر اللازمة لها وإرسالها لأقرب فرع بنك للطفل.

٦- لا يتم استخراج دفاتر لأي حاله في المرحلة الثانية والثالثة إلا بعد دراسة حاله الطفل، بواسطة بحث اجتماعي ويقدم للمجلس، لاستخراج دفتر له ويرسل لأقرب فرع بنك للطفل.

كيف نودع الأموال في المرحلة الأولى..؟

١- جميع تبرعات مجلس الإدارة بصفتهم أكبر المتبرعين.

٢- جميع أموال باقي المتبرعين .

٣- جميع أطفال المرحلة الأولى، وهم المدرجون في جمعيات ودور أيتام (تم حصرهم وتم عمل دفاتر لهم)

٤- الأموال التي بالبند ١ والبند ٢ جميعها تقسم بالتساوي على أطفال البند ٣ أصحاب المرحلة الأولى

٥- بعد إيداع الأموال بالمرحلة الأولى يحق لكل متبرع أن يودع في أي دفتر يراه أو مجموعة دفاتر معينة

كيف يصل المتبرع لدفتر معين أو مجموعة دفاتر معينة..؟.

كما قلنا سابقًا للدفتر ميزات خاصة، وقيود خاصة أيضًا، وعلى ذلك سيكون له ماهية خاصة في أرقامه،لراحة المتبرع ولراحة البنك أيضًا في كيفية البحث عن دفتر معين أو مجموعة دفاتر معينة تخص محافظة معينة أو مركز معين أو حي معين لذلك سيكون للدفتر تسلسل خاص، يعطي لكل محافظة رقمين ثم لكل مركز رقمين أيضًا ثم رقم دفتر الطفل.

لو فرضنا أن محافظة القاهرة رقم (١١)، سيكون للجيزة(١٢)، وللإسكندرية رقم (١٣)، وهكذا. وبفرض أن محافظة أسوان رقم (٢٢)، سيكون رقم مدينة أسوان أيضًا (٠١)، ومركز إدفو مثلاً (٠٢)، إذا أردت جميع دفاتر محافظة أسوان سيكون متاحًا لي جميع الدفاتر التي تبدأ برقم (٢٢)،وإذا أردت دفاتر مدينة أسوان فقط سيكون متاحًا لي جميع الدفاتر التي تبدأ برقم (٢٢٠١) وإذا أردت جميع دفاتر مركز إدفو سأطلب جميع الدفاتر التي تبدأ برقم (٢٢٠٢)

حتى يسهل للمتبرع، وكذلك البنك حصر أي منطقه يريدها لكي يودع تبرعه.

(٢٣)

أم موسى والصندوق والأخذ بالأسباب

تعرض القرآن الكريم لقصة سيدنا موسى منذ ولادته، لقد كان فرعون مصر يقتل صبيان بني إسرائيل في عام ويتركهم في العام الذي يليه، وولد سيدنا هارون في العام الذي لا يقتل فيه الصبيان، وولد سيدنا موسى في العام الذي يقتل فيه الصبيان، فخافت أمه عليه وفكرت أن تخفيه بعيدًا عن جنود فرعون فماذا تفعل.؟

ليس لها من حيلة، فأوحى الله إلى أم موسى أن تصنع صندوقًا، وتضعه في النهر بجوار البيت، فإذا جاء جنود فرعون وضعت رضيعها في الصندوق وألقته في النهر، وتتركه يسير.........!

يا الله.. رضيع يوضع في صندوق، ويترك يسير في عرض النهر وحيدًا، معرضًا لكل أنواع الهلاك من سرقة صيادين، ومن تيارات وأمواج ورياح، ومن غرق في عرض النهر، ومن جوع وعطش، ولكن إرادة الله فوق كل ذلك وتدبير الله شيء آخر، بل الله حافظ له، وسيضمن له السلامة وبالقدرة الإلهية الكبرى.

أليس الله القائل: ﴿ وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي ﴾ (٣٩)طه، مخاطبًا موسى في الكبر..؟ ليس هذا فقط بل ألقى الله على موسى محبة من الله: ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي ﴾ يا سبحان الله محبة من الله لموسى، وفعلاً كانت محبة واضحة عندما أراد فرعون قتله فتصيح زوجة الفرعون: ﴿ وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ ﴾ فعلاً محبة من الله...!

يقول المولى سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧)، القصص، ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى ﴾ الوحي من الله مباشرة إلى أم موسى، و لم يقل أرسلنا إليها وحيًا، بل من الله إلى أم موسى مباشرة، وفي نفس الوقت لا داعي للخوف أو الحزن ﴿ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ﴾

ويبشرها المولى ببشارتين اثنين: ﴿ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ سنرده إليك وفوق ذلك سيكون من المرسلين.

ألا نفهم من قول الله لأم موسى: ﴿ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ أي سيعيش حتى يصير رجلاً يافعًاومع ذلك فقلب الأم على رضيعها: ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ ﴾ وتدخلت العناية الإلهية وربط الله على قلب الأم: ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ .

ألا نفهم من هذه القصة الكثير.. ومنه على سبيل المثال:

أن نأخذ بالأسباب مثل صنع الصندوق لحماية الرضيع الذي لا حول له ولا قوة.

الامتثال لأمر الله مهما كان، ودون خوف أو وجل، حتى وإن تعارضت مع مفاهيمنا البشرية: ﴿ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ ﴾ تدخل العناية الإلهية لمساعدتنا على تقبل الأمر: ﴿ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا ﴾ .

وعد الله حق مهما كان وسيأتي: ﴿ فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْماً وَعِلْماً ﴾ .

اللهم فقهنا في ديننا، وانفعنا بما علمتنا، واجعل غايتنا هي رضاك.

(٢٤)

مقارنة بين أم موسى وأم عيسى في القرآن الكريم

ذكر لنا القرآن الكريم أم موسى في موضعين: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ . ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

أما عندما تعرض القرآن لأم عيسى مَرْيَمَ العذراء؛ فقد ذكرها في أكثر من موضع، وهذا يدل على علم الله الأزلي لما سيكون من افتراءات على مَرْيَمَ، والتشكيك في عيسى عليه السلام يقول القرآن الكريم: ﴿ وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴾ سبحان الله... يذكر القرآن صراحة عفة مَرْيَمَ: ﴿ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ﴾ بل يذكر القرآن لنا صراحة تاريخ مَرْيَمَ قبل أن تولد، ليدلنا على طهارة هذه العائلة، فكيف تنحرف أحدى بناتها ويتهمونها مع آخر والعياذ بالله، فقد نذرت أم مَرْيَمَ امرأة عمران ما في بطنها لله سبحانه وتعالى قائلة: ﴿ إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ فلما جاءت

ساعة الوضع، وأتضح لها أنها أنثى وليس ذكرًا قالت: ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ عند ذلك استجاب رب العزة لدعوتها السابقة: ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾، ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾. ليس هذا فقط بل أعطاها المزيد: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾، ومن المعلوم أن الله اصطفى مَرْيَمَ وطهرها واصطفاها على نساء العالمين، وذلك ليقطع ألسنة المتقولين على طهارة مَرْيَمَ: ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾، يذكرنا المولى بقصة خلق عيسى عليه السلام قائلاً: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴾

يا سبحان الله القرآن يقص علينا الكلمات في دقه متناهية: ﴿ فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا ﴾ الضمير يعود للمولى هو الذي أرسل وليس أحد غيره، وكان الروح المرسل إلى مَرْيَمَ في صورة ﴿ بَشَرًا سَوِيًّا ﴾، ربما للطمأنينة والتحاور الذي سيتم بينهما، ما كان منها إلا أن استعاذت بالقدرة الإلهية التي تؤمن بها وتتعبد لها قائلة: ﴿ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴾ فرد عليها الروح قائلاً: ﴿ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ ﴾ تمحصوا هذه الكلمات من الروح قائلاً عن نفسه: إنما أنا رسول (**ربك**) ولم يقل رسول الله أو رسول ربنا بل

قال رسول ربك الذي تعبدينه أنت ومنقطعة للعبادة له وحده، ربما ليبث إليها الطمأنينة، وفي نفس الوقت أوضح لها المهمة المكلف بها، ﴿لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا﴾ فردت عليه بمنطق الفتاة التي لم يسبق لها الزواج متسائلة: ﴿أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ فما كان من الروح إلا أن قال مكررًا كلمة **ربك** مرة ثانية **ربك** الذي تعبدينه أنت: ﴿قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ﴾ هذا أمر الله وهو هين عليه، وبشرها ببشارة ﴿وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾

وفوق كل ذلك فقد قضى الله سبحانه هذا الأمر في الأزل ولا نقاش فيه... ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ أي لا حيلة لنا فيه، فالقرآن أثبت طهارة مَرْيَمَ وبراءتها وعفتها، ليقطع الطريق على المشككين لما سيقولونه على مَرْيَمَ، ويقطع الطريق على الذين يريدون نسب عيسى لله كابن له قائلاً: ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ ويقطع الطريق على المشككين في نبوة محمد عليه الصلاة والسلام قائلاً: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾

أي أن هذه القصة من أنباء الغيب، و لم تكن يا محمد حاضرًا لها..

والله المستعان

(٢٥)

امسح ذنوبك واكسب مليار حسنة
بضغطه زر فقط .....فرصة

الإسلام دين الحياة، صالح لكل زمان ومكان، صالح لكل الشعوب على اختلاف ثقافاتها، ومن الإسلام نستمد قوتنا وعزتنا، وأيضًا نستمد منهج حياتنا، وبه نرتب أمورنا وننير عقولنا.

الإسلام طرفان لا طرف واحد، الإسلام يجمع النقيضين في ملف واحد وتفكير واحد أيضًا، وللمسلم أن يجمع النقيضين في شخصية واحدة..

رهبان بالليل فرسان بالنهار
أشداء على الكفار رحماء بينهم
أذله على المؤمنين اعزه على الكافرين

وليس على المسلم أن يجمع الحسنات فقط؛ بل عليه أن يجتنب السيئات أيضًا في نفس الوقت؛ عليه أن يستغفر الله ليجمع الحسنات، وفي نفس الوقت يبتعد عن الموبقات، عليه تأدية الصلوات والابتعاد عن إيذاء

العباد أيضًا، لا يكفي المسلم أن يجمع حسنات فقط، ولكن عليه أن يبتعد عن مظالم العباد. عليه أن يمشي في قضاء مصالح العباد لجمع الحسنات، ويبتعد عن الغيبة والنميمة أيضًا.

كثير من الأخوات والأخوة يحدثوننا عن أوكازيون جمع الحسنات، وينسون رد مظالم العباد.

كثير منهم أيضًا يحدثنا عن محو السيئات، وينسى الابتعاد عن الإضرار بالناس، ورسولنا الكريم ينبهنا عن المهلكات فيقول: (**الشرك بالله والإضرار بالناس**)

لماذا نذهب لجمع الحسنات فقط، وعلينا ديون كثيرة لعباد الله من غيبة ونميمة وشهادة زور..؟

أليس الأولى أن نسير معًا..؟ ونجمع الحسنات ونطهر أنفسنا من حقوق العباد.؟ كيف نستقبل رمضان بالصلاة والزكاة، وفي نفس الوقت علينا أحمال كثيرة من ذنوب العباد التي لا يطهرنا منها سوى رد المظالم إلى أهلها.؟ كيف نعتكف في مساجدنا ونترك قضاء مصالح العباد..؟

وديننا يعلمنا.. ولأن أمشي مع أخي المسلم في حاجة أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا..! إذن كيف نؤدي الزكاة ونترك عيادة المريض..؟ كيف نجمع الحسنات ونترك الإصلاح بين الناس.؟

قال الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ وكيفَ نعتكف في مساجدنا ولدينا مشاحناتٌ وبغضاء بين الأهل والجيران..؟

أيها الأخوات والإخوة

يلزمنا الاستقامة في التفكير، كما يلزمنا الاستقامة في الصفوف في الصلاة. إن الله لا ينظر للصف الأعوج،، فما بالنا بالتفكير الأعوج، أو التفكير الأحول الذي ينظر للدين من زاوية واحدة وهي جمع الحسنات.

إن الابتعاد عن السيئات والموبقات والابتعاد عن الإضرار بالناس لهو عمل مطلوب أيضًا...

وفي نفس الوقت؛ علينا أن نستقيم في تفكيرنا كما نستقيم في صفوفنا للصلاة، اضمنوا لي صفوفًا منظمة وتفكيرًا منظمًا ليكون لكم الريادة كما كان لآبائكم وأجدادكم.

شكرًا لكم

(٢٦)

هل صلاة الموظف في عمله جماعة أفضل من صلاته في بيته منفردًا؟

فرض الله سبحانه وتعالى الصلاة من فوق سبع سماوات قائلاً جل علاه: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ (٤٣)، سورة البقرة. وجعل لكل صلاة وقتها لا تعديل ولا تبديل في مواقيت الصلاة قائلاً سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ (١٠٣)، النساء. لكل صلاة من الصلوات الخمس وقت محدد بعلم الله وقد بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن رحمة الله بعباده أن جعل لنا متسع في تحديد هذا الوقت، أي جعل فسحة من الوقت للمسلم أن يصلي في أولها أو يصلي في آخرها، وإن كان من الأفضل أن يصلي في أول الوقت لكل صلاة، مصداقًا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلاً: (**أحب الأعمال إلى الله الصلاة على وقتها**)

ومن رحمه الله أن يسر لنا الصلاة جماعة أو على انفراد، وإن كانت صلاة الجماعة تفوق صلاة الفرد بـ ٢٧ درجة، وفي كل الأحوال مطلوب

من المسلم أن يؤدي الصلاة في جماعة فهي أفضل له وأن يصليها كذلك في أول الوقت.

ولكن.. هل إذا صلى المسلم الصلاة في نصف الوقت، أو في آخر الوقت يكون مذنبًا إذا لم تسمح الظروف له.؟ وهل إذا صلى المسلم الصلاة منفردًا، وليس في جماعة لظروف خارجة عن إرادته يصير مذنبًا.؟

بفرض أنني توضأت في بيتي، وخرجت لأداء صلاة العصر في المسجد جماعة، وإذا بحادث سيارة لأحد المارة، أيهما أختار: أن أكمل مسيرتي للمسجد للصلاة في جماعة، أم أنقله للمستشفى.؟ وبعد تسليمه للمستشفى لإسعافه أقوم بالصلاة منفردًا..؟

نعود للموظف المصر على تأدية الصلاة في عمله جماعة.

بفرض أن أرملة تحتاج إلى توقيع من موظف للذهاب إلى هيئة معينة لصرف معاش لها، وصادف هذا اليوم هو الخميس، وأصر موظفنا على أن يتجه للوضوء أولاً، ثم صلاة ركعتين سُنة، وبعدها تقام الصلاة جماعة، ويصر على ختم الصلاة، ثم يختم أعماله بركعتين بعد الفريضة، وعند عودته للمكتب يكون قد بدأ يلملم أوراقه للمغادرة، لانتهاء دوام العمل ويلوم الأرملة لأنها أتت متأخرة. وتعود المسكينة إلى بيتها دون أن تفوز بتوقيع سيادته.. ويصبح اليوم التالي جُمعه واليوم الثالث سبت أجازة سيادته. وتأتي إليه في اليوم الرابع الأحد مبكرة لتنعم بتوقيع سيادته، وربما يتكرر هذا المشهد مع رجل مُسن أيضًا ليس لديه عائل....

ترى ما هو الصحيح في هذه الأمور..؟ وأيهما من المفروض أن يكون..؟ صلاته جماعة على حساب الأرامل والمسنين.؟ أم صلاته في بيته بعد دوام العمل وإنجاز مصالح الأمة..؟

ترى لو أجلنا الصلاة إلى انتهاء دوام العمل لنصليها جميعنا في جماعة بعد قضاء مصالح العباد...هل سينتظر الموظف للصلاة معنا في جماعة أم سينصرف ليصلي في بيته بحجة أنه مستعجل..؟ ولماذا يصر على الصلاة في جماعة على حساب وقت العمل، وعلى حساب مصالح العباد..؟ ما هو الرأي الأرجح والأصح من وجهة نظر الشريعة..؟

أجيبوني من فضلكم على هذا التساؤل فقط.

صلاته في بيته منفردًا مع قضاء مصالح العباد..؟ أم صلاته جماعة في عمله على حساب مصالح العباد..؟

ملاحظة:

لو كان الموظف (فاضي) وكثير من موظفينا والحمد لله ليس لديهم عمل.. فالمفترض والأصح أن يصلي صلاته في جماعة، طالما لا يؤخر مصالح العباد.

(٢٧)

أهل الكهف و مستقبل البشرية

هل يحق لنا أن نبحث في آيات الله الكريم، لنتعلم منها ونطور حياتنا العلمية والحياتية.؟

هل يحق لنا أن نتساءل مع علمائنا الأجلاء في علوم الدين وعلوم الحياة من طب وهندسة وفلك.. و... و... و.؟ هل يحقق لنا القرآن الكريم ما نصبو إليه من مستقبل أفضل.؟ هل لنا الحق على علمائنا في تفسير القرآن، لأجل مستقبل أفضل للبشرية.؟ هل آن الأوان لعلمائنا ليتولوا الإمامة في قراءة علم المستقبل.؟ هل تأخر علماؤنا في تفسير آيات القرآن الكريم في قراءة المستقبل.؟ هل يحق لنا أن نتعلم من قصص القرآن الكريم لقراءة المستقبل وعلومه.؟

هل وهل....؟

العلماء توصلوا للرادار من طائر الخفاش أليس من خلق الله.؟ ابن آدم الأول تعلم كيف يواري أخيه من غراب أليس من خلق الله.؟ كل ما نعلمه من قصة أهل الكهف أن مجموعة من الفتية امنوا بربهم، وهربوا إلى كهف ليتواروا فيه من الظلم، ربما ليكملوا مسيرتهم كيفما شاءوا، وضرب الله على آذانهم وناموا مدة من السنين واستيقظوا، ولكن هل لنا أن نستفيد من

هذه القصة للمستقبل ومن نفحاتها لنفيد البشرية ونستفيد من علومها.؟

يقول المولى في كتابه الكريم: ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ الكهف (٩). فتية في كهف في وادي الرقيم كما ذكر القرآن الكريم، يقول المولى عز وجل: ﴿ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا ﴾ وينسب المولى إلى ذاته أنهم من آيات الله ليس هذا فقط بل ﴿ عَجَبًا ﴾ ضرب الله على آذان هؤلاء الفتية سنين عددًا. ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ (١١). أي أن **(ضربنا)** نسبت لله سبحانه وتعالى، وليس للفتية أو لأي شيء آخر. وكان الضرب على الأذن، وليس على أي جزء آخر من الجسم؛ يقول المولى عز وجل: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴾ (١٣).

أي أن القصة تأتي من الله: **(نحن نقص عليك)**، ويؤكد المولى عز وجل على عظيم هذا الأمر ﴿ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ﴾ قصة من الله سبحانه وتعالى إلى رسوله العظيم ليبلغها للبشرية كافه، ليست للعلم بها فقط، ولكن لقراءة علم المستقبل واكتشاف آيات الكون والبحث عن مكنونها. ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ﴾ أي أن الله هو الذي ربط، ولم يرسل ملاكًا أو وحيًا لهذه المهمة..

ألا يدل ذلك على عظم هذه القصة.؟

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ﴾ يحدثنا المولى عز وجل أن الشمس إذا طلعت أي في الشروق صباحا ﴿ تَّزَاوَرُ ﴾ عن الكهف، أما في غروب الشمس ﴿ تَّقْرِضُهُمْ ﴾

هل لنا حق في أن نسأل علماء اللغة، ليفسروا لنا كلمات تزاور وتقرضهم.؟ ولماذا يكون تزاور صباحًا وتقرضهم مساءً.. ولماذا ربط كلمة تزاور بالصباح مع كلمة اليمين، وتقرضهم بالمساء مع كلمة الشمال...؟ ﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ وهل لوادي الرقيم خصوصية في هذه القصة..؟ وهل لهندسة هذا الكهف الموجود بوادي الرقيم زوايا وهندسة خاصة، تحمي هؤلاء الفتية من الحشرات والطيور الجارحة والديدان الأرضية وما شابه ذلك..؟

ترى كيف ضمن الله لهؤلاء الفتية سنينًا طويلة دون أي مكروه خارجي..؟ وسخر لهم هذا البناء بهندسة إلهيه، ليكون لهم واقيًا من عوامل التعرية والعوامل الخارجية..؟ وجعل لهم الشمس بحرارتها ودفئها وأشعتها عاملاً من عوامل استمرار حياتهم دون مكروه...؟

يقول المولى عز وجل: ﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُود ﴾ أي أن الناظر إليهم وهم في رقودهم يحسبهم أيقاظًا. ونأتي لعظمه الله في هذه القصة: ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴾ إن الله سبحانه وتعالى نسب إلى ذاته عملية التقليب ﴿ وَنُقَلِّبُهُمْ ﴾ و لم يرسل وحيًا أو ملاكًا ليقوم بهذه المهمة، بل نسبها لذاته سبحانه وتعالى. هل يحق لنا أن نقول بأن الله سبحانه وتعالى زودهم بآليات في أجسامهم، أي بقوة خفية تقوم بهذه المهمة وهي مهمة التقليب لأجسامهم، دون أن يحتاجوا لعوامل خارجية..؟ هل هذه القوة الخفية التي تقوم بعملية التقليب كانت حركة دورية ميكانيكية، لها برنامج خاص له مدة ووقت معين، وتعمل في وقت معين وبزوايا معينة وبسرعة معينة..؟

ألا نلاحظ في أيامنا هذه أن المريض إذا رقد لمدة طويلة في نومه يصاب بقروحات في معظم أجزاء جسمه، من النوم المستمر، ويحتاج لعلاج لهذه القروحات، و لم يصل الطب الحديث لحماية جسم المريض المستمر في نومه من هذه القروحات؟ ألا نعلم أن المرتبة الهوائية الطبية للمريض المستمر في نومه، لا تحميه أيضًا من القروحات..؟ فما بالك بفتية ناموا عدة سنين طويلة، و لم يصابوا بأي أذى أو قروحات...!

وإذا تجاوزنا عملية التقليب والقروحات... هل يحق لنا أن نقول كيف يمكث إنسان سنين طويلة، وجسمه لا يحتاج إلى غذاء لهذه المدة، ليحتفظ باستمرار الحياة.؟ أليس لنا الحق أن نقول أن علمائنا عليهم عبء التفسير..؟

ربما تستفيد البشرية من هذه القصة، ونستطيع الاحتفاظ بأجسام شعوب بكاملها تعاني من الفقر وعدم الطعام لمدة طويلة، دون أن تصاب بأذى، وتصحو مرة أخرى لاستكمال مسيرتها بعد توفر الطعام اللازم لها، وفي نفس الوقت لا تصاب بأذى.؟

ألا تلاحظون معي أن الفتية بعد استيقاظهم لم يستغربوا أشكالهم، أي لم يتغير فيهم أي شيء طوال هذه المدة..؟، بمعنى أوضح لم يتغير شكل أظافرهم أو شعرهم أو يتغير لونهم ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ عندما قال قائل منهم كم لبثتم ردوا عليه لبثنا يومًا أو بعض يوم. أي لم يقولوا لبعضهم البعض أن شكلك تغير أو شعرك تغير أو لون جلدك تغير. أي أن الله حفظهم طوال هذه المدة، واستيقظوا بنفس الهيئة التي ناموا بها.

إن قدرة الله التي لا تحيطها قدرة أمدتهم بطاقة في أجسامهم، تكفل لهم حيوية ونشاطًا في نومهم وتقليبهم للحفاظ عليهم، وفي نفس الوقت هذه القدرة لم تكن سببًا في نمو أظافرهم أو شعرهم أو تغيير لون جلدهم.

ألا يحق لنا أن نسأل علماءنا أن يدرسوا هذا الأمر ويحللوه..؟ ربما يصلوا يومًا ما للاستفادة منه. ألا يحق لنا أن نقول ربما للمكان (**الكهف والوادي**) له ميزة خاصة في الحفاظ على أجسام الفتية..؟ فكرة تستحق الدراسة..!

القصة بكاملها جاءت من الله إلى رسوله صلى الله عليه وسلم، ليبلغها للبشرية، للدراسة والبحث والاستفادة منها؛ المكان وقدرة التقليب والطاقة الكامنة في أجسامهم التي تحافظ على الحياة سنين طويلة دون أن تكون سببًا في نمو أظافر أو شعر على الأقل.

إنني أدعو علماء اللغة والطب والهندسة والفلك وآخرون، ليلتقوا جميعًا في تفسير هذه القصة التي نؤمن بها، ونتعبد بها، ربما تستفيد البشرية منها يومًا ما.

(٢٨)

(معجزة) و (ليس لها تفسير)، كلمات هل توقفنا عن التفكير.؟

نعم إن القرآن معجزة، وكل حرف بالقرآن معجزة، وكل قصة وردت بالقرآن معجزة، إذن... هل ليس لهذه الكلمات من تفسير.؟

هل نغلق عقولنا ونقول إنه ليس لها تفسير لأنها معجزة.؟ هل نترك الغرب يفسر لنا الظواهر القرآنية.؟ إلى متى نأخذ من الغرب ولا نتفاعل معه في تفسير ظواهر الكون.؟ أليس لنا علماء في الماضي في كل فروع مناحي الحياة طبية وهندسية وفلكية ورياضية.؟ أليس لدينا كثير من العلماء الآن مسلمين....؟ لماذا نحجر على آرائهم بحجة أنها معجزة، وليس لها تفسير ونقبل تفسيرها من الغرب.؟

نيوتن صاحب أعظم النظريات العلمية التي قام عليها علم الفيزياء وعلم الرياضيات، وفسرت لنا كثيرًا من الظواهر الكونية، كانت نظرياته بسبب التفكير في تفاحة سقطت عليه من شجرة أكان واجب عليه أن يأكلها، ويستكمل نومه ويقول رزق ساقه الله إلي.؟ هل أخطأ عندما فكر في سبب سقوط التفاحة.. لماذا سقطت التفاحة و لم تطير إلى أعلى أو تطير

شمالاً أو جنوبًا أو شرقًا أو غربًا.؟ أرشميدس أكان مخطئًا عندما فكر في كمية الماء المزاح من الحوض.؟

أبو البركات ابن ملكا والذي سبق نيوتن في نظرياته بـ ٤٠٠ عامًا، وكان في القرن الحادي عشر، وكانت آراؤه سابقة لعصرها، وثبتت صحتها بعد ذلك على يد نيوتن ونظرياته،، فهل كل ما يستعصي علينا فهمه يكون معجزة.؟

أليس بعد أيام أو أعوام لا يصير معجزة.؟ أليس التليفون المحمول اليوم حدث عادي وبالأمس القريب كان ضربًا من الخيال.؟ إن علم الفيزياء هو العلم الذي يصف كيف يعمل الكون وأن الكون مبنيٌ على عدد قليل من قوانين ومفاهيم علمية تتناسق مع بعضها البعض دون تعارض، وأما الاكتشاف ما هو إلا وصف لما هو موجود فعلاً بالطبيعة، أو تفسير لهذا الأمر من واقع مفاهيم وقوانين أولية، سابقة لهذا الاكتشاف يكمل بعضها بعضًا. العلم الحالي ما هو إلا تراكم علوم وخبرات سابقة وأبحاث من سنين طويلة، يكمل بعضها البعض، والعلم الحديث كذلك مبنيٌ على علوم سابقة له. أليس الله عز وجل هو القائل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ (٤٦)، الحج. أليس الله القائل ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ (٢٠) العنكبوت. أليست هذه دعوة صريحة من الله، للبحث والتفسير في كيفية بدء الخليقة.؟ لماذا نترك الغرب يفسر

لنا ظوهر الكون التي أرشدنا القرآن والسنة إليها، دعونا للتفكر فيها، يقول بعض الأخوة إنها معجزة، وليس لها تفسير، وإذا فسرت لن تكون معجزة:

البيضة أم الكتكوت.؟

من جاء أولاً.؟

ولماذا.؟

إلى وقت قريب كان معلوم لنا أن التفسير الوحيد لقول الله تعالى ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ ﴾ (٣٤) لقمان، أن الله يعلم هل هو ذكر أم أنثى، لدرجة أن بعض الناس قالوا: يستحيل معرفة نوع الجنين، لأن وجهه وهو في رحم الأم يكون دائمًا للخلف، ولا يمكن أن يُرى، أو يُعرف نوع الجنين بأية طريقة كانت، وأنها من الغيبيات. ولكن؛ بفضل الله مكّن للبشرية علماء توصلوا لأجهزة أنارت لنا طريقنا، وعرفنا نوع الجنين والحالة الصحية له، وفوق ذلك إن كان مشوهًا أم معافى..!

هل هذا الجهاز ضد العلم.؟

أليس هو تفسير قوله سبحانه وتعالى جل في سمائه: (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأرْحَام) إن علم الله واسع وأكبر من ذلك بكثير وكثير. مثلاً ويعلم ما في الأرحام من عمر الجنين، وهل سيولد أم يموت، وهل يصير شقيًا أم سعيدًا، وهل سينجب أم يصير عقيمًا وما مستقبله و..و.. و..و...إلخ.

هل عدم رؤيتنا لبعض أنواع الجراثيم والميكروبات بأعيننا يعني أنها غير موجودة.؟ طبعًا لا... ولكن عيوننا لا تستطيع رؤيتها، فهي تُرى بأجهزة ومعدات خصصت لذلك. وكذلك التيار الكهربائي يمر في الأسلاك ولا نراه، ولكننا نشعر به.. أليس التيار الكهربائي سيلاً من الإليكترونات.؟

المعجزة ربما هي معجزة اليوم لأننا لا نستطيع تفسيرها، ولكن ربما يصل إلى تفسيرها آخرون غدًا، بما تيسر لهم من أدوات وإمكانيات. ربما يقول أحد الأخوة: إن علماء الغرب توصلوا لاكتشافاتهم بالصدفة. ونقول له: إن الصدفة لا تأتي إلا لمن يستحقها، من بعد جهود مضنية في التفكير وتفعيل قوانين الطبيعة الثابتة، التي أوجدها الله بقدرته، والتي يسير عليها الكون. وفي معتقدي أيضًا أنه لا يجوز أن نقول (**صدفة**). ولكن نقول قدَّر الله وما شاء فعل.

أليس هو القائل: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ (٤٠) سورة طه. ويُلاحظ هنا أن الذي أتى هو موسى، ولكنَّ المقدر للمجيء هو الله، نعم موسى أتى بإرادته ولكن الله قدر له المجيء في هذه اللحظة، وهذا المكان لتكليفات سيلقيها الله عليه، ولذلك قال له: ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ (٤٢) سورة طه.

هذا تكليف من الله لموسى، أتى موعده، فقدر الله لموسى المجيء في هذا الوقت، وهذا المكان بالذات، والله أعلى وأعلم بما سيكون من تفسيرات لاحقة على أيدي آخرين من بعدنا، لذا لا يستغرب آخرون عندما نقول

للكهف مكانة خاصة في تلك القصة، وفي الحفاظ على أجساد الفتية.
وهناك الكثير و الكثير .

وأكتفي بهذا القدر.
إنما قصدت بطرحي هذا أن أفتح نافذة للحوار .

والله من وراء القصد.

(٢٩)

فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ وَفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُونًا

موضوعنا اليوم عن الماء على الكرة الأرضية، ومنشأه وبعض صفاته..

لقد أعطى الله الماء ميزة دون باقي السوائل جميعًا، بأنه الوحيد الذي تُزال به آثار النجاسة وتتم به الطهارة: ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ ﴾ الأنفال ١١ ﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾ ٤٨ سورة الفرقان. والماء يعتبر من الثروات التي من المفترض أن تحافظ عليها الدول، وأن تقتصد في استخدامها وتعمل على ترشيد استهلاكها.

ويعلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاقتصاد في الماء قائلاً للصحابي: ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنْ كُنْتَ عَلَى نَهَرٍ جَارٍ ﴾، وذلك عندما سأله الصحابي قائلاً: ﴿ أَفِي الْوُضُوءِ إِسْرَافٌ ﴾. ويعلم العالم جميعًا ويعلم أيضًا أعداء الإسلام أنه ربما تكون الحروب القادمة هي حرب المياه.

وقد أوجد الله سبحانه وتعالى الماء قبل خلق آدم ﴿ أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ

﴿ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ الأنبياء ٣٠ ،ويعتبر الماء من ضرورات الجنة ونعيمها أيضًا، حيث يستغيث أصحاب النار من أصحاب الجنة قائلين ﴿ أَنْ أَفِيضُواْ عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ﴾ الأعراف ٥٠، وجعل الله سبحانه وتعالى الماء جندًا من جنوده أيضًا به يُغرق الكافرين ﴿ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ ﴾ هود ٤٣.

ومن الخواص الفريدة التي اختص الله بها الماء عن دون السوائل والجوامد أيضًا، أنه يتمدد عند تجمده ويزيد حجمه، وبالتالي يطفو الثلج على ظهر الماء، ليتعرض لأشعه الشمس فيذوب ويصير ماءً من جديد، ولو كان الماء يتقلص عند تجمده، ويقل حجمه لصار في قاع البحار والمحيطات ثلجًا إلى يوم القيامة، وما تعرض لأشعه الشمس أبدًا، بعكس باقي السوائل والجوامد فإنها تنكمش ويقل حجمها. ووصف الله سبحانه وتعالى الماء بالوصف الجميل: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا ﴾ سورة ق ٩.

ونأتي إلى نظرية من أين أتى الماء إلى الأرض..؟ توجد نظريات حول منشأ الماء، النظرية الأولى (**كونية المصدر**)، النظرية الثانية (**أرضية المصدر**).

أما نظرية كونها (**كونية المصدر**) فتتلخص في أن الماء أتى إلى الأرض من الفضاء الخارجي، وتفيد هذه النظرية بأن هناك تيارات من الأشعة الكونية، تتحرك دائمًا في الفضاء الكوني مكّونة من جسيمات ذات طاقة ضخمة جدًا، تحتوي على نوى ذرات الهيدروجين لدى حركة كوكب الأرض، أثناء دورانه حول نفسه وحول الشمس، تخترق هذه

البروتونات جو الأرض، وتحصل على الإليكترونات الضرورية، وتتشكل ذرة الهيدروجين، حيث تتفاعل مباشرة مع الأوكسجين لتشكل جزيئات على ارتفاعات كبيرة، وفي ظل درجات حرارة منخفضة، تتكاثف على جسيمات من الغبار الكوني مكونة سحبًا فضية.

أما نظرية كونها (**أرضية المصدر**) فتتخلص هذه النظرية في: أن الصخور المكونة للطبقة الواقعة بين نواة الأرض والقشرة الأرضية، كانت تنصهر في بعض المواقع تحت تأثير الحرارة الناشئة عن التفكك الإشعاعي للنظائر المشعة، حيث تنطلق منها مكونات طيارة مثل الأوزون والكلور ومركبات الكربون المختلفة والكبريت، وأكثرها أبخرة الماء. كانت هذه المكونات تُقذف إلى الطبقات السطحية أو على السطح بواسطة الثورات البركانية خلال تاريخ الأرض الطويل.

وكثير من العلماء يؤيد نظرية (**كونية المصدر**) مستشهدين بالآيات الدالة على ذلك: ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ البقرة ٢٢ ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ الأنعام ٩٩ ﴿ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾ الأنفال ١١ ﴿ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا ﴾ الرعد ١٧ ﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ﴾ إبراهيم ٣٢ ﴿ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ ﴾الحجر ٢٢ . وكثير من الآيات التي تؤيد كونية المصدر للمياه.

ومن العلماء أيضًا من يؤيد (**أرضية المصدر**) للمياه مستشهدين بقوله سبحانه وتعالى في سورة النازعات آيات ٣٠-٣١ ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ﴾ والحمد لله من قبل ومن بعد

أعتقد أن كلا النظريتين صحيح.

فبعض الماء أتى من السماء (**كونية المصدر**)، وبعضه أتى من الأرض (**أرضية المصدر**)،وأجد في كتاب الله ما يزيح الستار ويكشف لنا الفكرة (**ثنائية المصدر**): يقولُ سبحانه وتعالى في قصة سيدنا نوح والطوفان ومصدره ﴿ فدعا ربه أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴾ ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ ﴿ وفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ إذ يذكرنا القرآن الكريم بأن مصدر الماء في طوفان سيدنا نوح كان **مصدرًا ثنائيًا** ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴾ (**هذا مصدر**)، ﴿ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا ﴾ (**هذا مصدر**)، ويذكرنا القرآن بالتقاء المصدرين ﴿ فَالْتَقَى الْمَاءُ ﴾ وذلك بقدر الله فقط، وليس لسيدنا نوح دور فيه ﴿ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴾ .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(٣٠)

قدر و ليس صدفة

الصدفة والقدر

هل الإسلام يقر بالصدفة.؟

هل الإسلام يعترف بها.؟

هل يوجد بالإسلام صدفة.؟

وإذا أقر الإسلام بالصدفة، فماذا يكون مصير خلق الأرض والسماوات؟ هل خلق آدم صدفة.؟

هل بُعثت الرسل صدفة.؟ حقيقي أن الإسلام لا يعرف كلمة صدفة، إنما يعرف كلمة القدر والمقدر، أليس الله جل وعلا القائل في محكم التنزيل: ﴿ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى ﴾ ، ٤٠ طه.

بعد أن لبث موسى في أهل مدين عددًا من السنين حسب تقدير الله له، أتى موعد التكليف الذي سيكلفه به الله ألا وهو ﴿ اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكْرِي ﴾ ، ٤٢ طه. ﴿ اذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى ﴾ ، ٤٣ طه. إذن المجيء كان لموسى، ولكن المقدّر للمجيء هو الله.

فلن نقول أن موسى جاء صدفة، إنما جاء حسب قدر الله في موعد معين، لحمل هذا التكليف من الله، ونجد نفس المعنى في قول الله تعالى: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ ، ٣١ المائدة.

يحدثنا القرآن الكريم قائلاً: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا ﴾ ، ولم يقل فرأى غرابًا، ولم يقل فجاءه غرابٌ إنما قال: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا ﴾ ، بعث فعل ماض لا بد له من فاعل، والفاعل هو الله. والغراب لم يأت من تلقاء نفسه، بل بعثه الله، العناية الإلهية أرادت أن تعلم ابن آدم كيف يدفن أخاه، فبعث له غرابًا ليتعلم منه، هل جاء الغراب صدفة أم من الله.؟

إذن أين هي الصدفة.؟

نستطيع القول أن جميع الأفعال والأعمال التي يؤديها الإنسان، إنما هي قدر الله له، ولا تعفيه من المسئولية تجاه أفعاله ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴾ ، ٨ الشمس. ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴾ ، ٣٨ المدثر. فموسى أتى بقدر الله، وليس صدفةً، والغراب بعثه الله، ولم يجئ بإرادته، ولم يكن صدفة.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(٣١)

بعث الله غرابًا وليس صقرًا أو نسرًا أو طاووسًا

بعد أن تناولنا موضوع (**قدر وليس صدفة**)

نتساءل مرة أخرى في قصة ابن آدم:

عندما وقف القاتل متحيرًا ماذا يفعل بجثة أخيه، وكانت أول حادثة قتل، و لم يدر ماذا يفعل،فتدخلت قدرة الله في تعليم هذا القاتل ماذا يفعل، وكيف يفعل، حفاظًا لحرمة الميت: ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا ﴾ وتعلم منها القاتل قائلاً: ﴿ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ ٣١ المائدة.

بعد هذه القصة دعونا نتساءل

أليس القرآن الكريم معجزة.؟ أليس كل كلمة به معجزة.؟ أليس كل حرف به معجزة.؟ ألسنا نتعبد بكل كلمة وكل حرف في القرآن.؟ إذن لا يوجد كلمة بالقرآن إلا ولها مدلولها ومعانيها، ولا تنفع كلمة أخرى مكانها. إذن يمكننا أن نتساءل:

لماذا قال الله بعث غرابًا، و لم يقل أرسل غرابًا.؟ ما الفرق بين بعث وأرسل.؟ نحن نعرف أن يوم القيامة اسمه يوم البعث، هل بعث غرابًا بمعنى أرسل غرابًا....؟ سؤال هام موجهٌ لعلماء الشريعة والتفسير وعلماء اللغة أيضًا، ليوضحوا لنا الفرق بين بعث وأرسل، لماذا بعث الله غرابًا و لم يبعث صقرًا أو نسرًا أو طاووسًا، أليس الصقر أو النسر أقوى من الغرب.؟ أليس الطاووس أجمل من الغراب، إذن لماذا كان غرابًا و لم يكن أي شيء آخر.؟ وما الحكمة من كونه غرابًا.؟

سؤال أتوجه به لعلماء التشريح والطب والفلك وعلماء الزراعة أيضًا– ربما الغراب يأكل أشياء تجعله مميزًا عن باقي الطيور– ليبينوا لنا:

هل يختلف تشريح جسم الغراب عن باقي الطيور..؟

(٣٢)

بلادنا العربية مفخرة:
مركز الكون وأرض الأنبياء ومهبط الرسالات

إنه لمن أشد العجب أن يفتعل التقاتل، وتقام الحروب في منطقتنا العربية، أكثر من أي منطقة أخرى بالعالم.

لقد اختص الله سبحانه وتعالى منطقتنا العربية، بكل ما هو مفخرة لنا وبكل ما هو في مصلحتنا الدينية والدنيوية أيضًا. لقد حبانا الله بأنهار تحسدنا عليها بلدان العالم وإسرائيل أيضًا، من نهر النيل إلى نهري دجلة والفرات مرورًا بنهر الليطاني ونهر الأردن، اختصنا الله بنعمة نشكره عليها عظيم الشكر، بل وننحني راكعين، ونعفر جباهنا ساجدين لله كل يوم وليلة في صلواتنا سائلين الله أن يتقبل شكرنا على نعمته لنا.

اختص الله سبحانه وتعالى منطقتنا العربية بأن جعلها أرض الأنبياء، وجعلها مهبطًا للرسالات ومركزًا للكون أيضًا. لم يمنح الله الفخر لأي منطقه بالعالم سواء أمريكية أو روسية أو فارسية أو قوقازية أو صينية بأي رسالة أو نبي أو رسول، حتى سيدنا الخضر كان في منطقتنا العربية، والتقى بسيدنا موسى بأرض سيناء، على الأقل في حدود علمنا من القرآن والسنة وربما التاريخ أيضًا.

اختصنا الله سبحانه وتعالى بهذه النعمة ونحمده ونشكره عليها، ونأمل أن يتقبل شكرنا له بأن منحنا لغة أهل الجنة، التي هي اللغة العربية، وهي لغة القرآن الكريم.

وكثير منا لا يعرف أن اللغة العربية واللسان العربي هو لغة أهل الجنة، وبها يتخاطب الأنبياء والمرسلون مع أتباعهم وأهاليهم.

يقول لنا التاريخ:

في العراق أرض الرافدين (**نهر الفرات**) كان مولد سيدنا إبراهيم وبعثه، وانتقل إلى الشام وصولاً إلى مصر مرورًا بسيناء، وعودته إلى الشام ثم رحلته إلى مكة. وسيدنا اسحق مولده وبعثه كان في الشام، وسيدنا يعقوب بعثه ومولده بالشام أيضًا ثم انتقل إلى مصر أيضًا وجميع أولاده أنبياء أيضًا وانتقلوا إلى مصر. وسيدنا يوسف من الشام إلى مصر، وتشرفت منطقة الأردن بسيدنا لوط، وسيدنا إسماعيل مولده بالشام وطفولته ومبعثه ورسالته في مكة، وسيدنا موسى مولده مصر ومبعثه سيناء ورسالته في مصر، وسيدنا عيسى مبعثه فلسطين، ثم حضر إلى مصر مرورًا بسيناء أيضًا.

إن المنطقة المباركة التي تبدأ بمصر ونهر النيل، مرورًا بسيناء جبل الطور والسعودية جزيرة العرب، والشام أيضًا، وصولاً إلى أرض العراق ونهر الفرات هي منطقة تبعث على حسد الجميع لنا.

إذن فالمنطقة الواقعة بين نهر النيل، إلى نهر الفرات بالفعل يحسدنا الكثيرون عليها. وكذلك منطقه الشام التي تشرفت برسالات عدة منها رسالة سيدنا اسحق وسيدنا يعقوب وسيدنا عيسى وسيدنا لوط، وإنه لشرف كبير لأرض العراق، أن تحتضن مولد ومبعث سيدنا إبراهيم، وإنه لشرف عظيم أن تحتضن أرض جزيرة العرب سيدنا هود وسيدنا صالح وسيدنا إبراهيم وسيدنا إسماعيل، وخاتم المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وكذلك أرض مصر تتشرف بسيدنا إبراهيم وسيدنا يعقوب وسيدنا يوسف وسيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهم جميعًا السلام، وأيضًا تشرفت مصر بأول من دعي للتوحيد (**إخناتون**)، ولا ننسى أن مكة المكرمة والكعبة المشرفة هي مركز الكون.

ولا يخفى على الجميع مدى القيمة المباركة لهذه المنطقة، التي تمتد من العراق أرض الرافدين مرورًا بالسعودية، ومنطقه سيناء المصرية وجبل الطور، الذي كلم الله عليه سيدنا موسى، وصولاً إلى مصر نهر النيل. عفوًا فأنا لست بمؤرخ ولا كاتب متخصص، ولكني أردت أن أقدم هذا الطرح لفتح المجال، سواء للتعليق أو الإضافة.

وختامًا لهذا الموضوع، أحب أن أقول:

جميعنا كعرب محظوظون بمنطقة مباركة هي أرض لكل الأنبياء والمرسلين، وهي مهبط لكل الرسالات السماوية. وأن لغتنا هي لغة القرآن الكريم، ولغة أهل الجنة.

شكرًا لكم

(٣٣)

صلاح الآباء والحفاظ على أموال الأبناء

كلنا يكد ويجد ويعمل ويتفانى في العمل. وربما يسرق ويرتشي، ويختلس أيضًا ويشهد الزور.

وكثير منا سخَّر نفسه للحلال والحلال فقط. وكثير منا سخر نفسه للحرام والحرام فقط. وآخرون جمعوا بين هذا و ذاك. جميعنا يبحث ويريد تأمين المستقبل لأولاده؟ وكم نسينا أن لله منهج آخر لتأمين مستقبل أولادنا. ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴾ .

يدلنا منهج الله سبحانه وتعالى، على أن التقوى والقول السديد هما الكنز اللازم لأبنائنا. يدلنا المنهج القرآني على أن اتباع كلام ربنا وهو النجاة لا غيره. ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ وهنا يحرم الله سبحانه وتعالى على المشركين الاقتراب من المسجد الحرام، وعلى المسلمين تنفيذ ذلك.

ولكن كيف.. وقد كان رواج سوق مكة واقتصادها يقوم على الحجاج من المشركين، وما يتبعهم من تبادل للسلع والبضائع والتسويق في ذلك الوقت.

ولكن ليس على المسلمين سوى الالتزام بقول الله، ومنع المشركين من زيارتهم لمكة، وسائر الأراضي المقدسة، وقد ضمن الله لهم رواج السوق، وعدم الوقوع في الفقر، ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ﴾ ومن المعلوم أن المؤمن لا يملك من أمره سوى الالتزام بأمر الله لأن به صلاح دينه ودنياه أيضًا. ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾

ولكن كيف نحافظ على أموال أطفالنا الصغار حتى بعد وفاتنا...؟

يعلمنا القرآن الكريم ذلك، تأملوا قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾

ذكر الله سبحانه وتعالى صلاح الآباء كان سببًا في الحفاظ على أموال الأبناء ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا ﴾ ربما كان والله أعلم صلاح الآباء هو السبب الرئيسي في الحفاظ على أموال الأبناء.

فهل آن الأوان لنتعلم أن منهج الله هو الطريق الوحيد لضمان مستقبل أبنائنا.؟

(٣٤)

قيلوا فإن الشياطين لا تقيل

الراوي: أنس بن مالك
خلاصة الدرجة: إسناده حسن رجاله ثقات
المحدث: الألباني
المصدر: السلسلة الصحيحة
الصفحة أو الرقم: ١٦٤٧

كلمات بسيطة من رجُلٍ أميٍّ لا يجيد القراءة والكتابة، قالها منذ أكثر من ١٤٠٠ عام، ربما كثير منا نحن المسلمين لا يدري عنها شيئًا، ربما كثير منا نحن المسلمين تمارسها ولا نعرف عنها شيئًا، كثير من دول غير إسلامية أخذت بها وتمارسها، بل إن تعاقب من يقطعها على الآخرين أو يحرمهم منها؛ بل إن كبار الساسة يدعون إليها. بل هناك عواصم تسمي نفسها باسمها، بل حتى بعض دساتير العالم تعترف بها..إنها القيلولة التي أمرنا بها رسول البشرية محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم.

دعونا نلقي نظرة على القيلولة، وكيف يتعامل معها العالم غير الإسلامي: في البرتغال هناك «رابطة محبي نوم القيلولة»، يتولى وزير العمل

بنفسه مسئولية الدفاع العلني عن «**القيلولة**». وفي إيطاليا يدعو كبار الساسة للقيلولة. مدينة كتانيا في جزيرة صقلية تُسمى بالعاصمة الوطنية للقيلولة. في الولايات المتحدة «**غرف خاصة للقيلولة**» أنشأتها بعض المؤسسات والشركات، فضلاً عن «**مؤسسة النوم الوطنية الأمريكية**» التي تدعو دومًا إلى مناصرة «**القيلولة**». في الصين يوجد اعتراف دستوري بـ «**القيلولة**» كحق لجميع العمال. في الهند يوجد قانون يعاقب من يقطع قيلولة الآخرين.

في اليابان هناك حضور طاغ للقيلولة.. وهناك أسرّة للاسترخاء في معظم الشركات والمصانع، بهدف تحقيق زيادة الإنتاجية ! والسماح للعاملين بالنوم في مكاتبهم لفترة لا تزيد على ٤٥ دقيقة بعد الظهر، يزيد من كفاءة عملهم بنسبة ٣٥٪ . وفي فرنسا كان لشركة «**آبل**» لنظم المعلومات، السبق في عام ١٩٩٠ في إنشاء مرافق للمستخدمين، خاصة بالقيلولة! القيلولة أو الاسترخاء التام ما بين ثلاثين إلى ستين دقيقة تساعد الإنسان على شحن بطاريته النفسية والفسيولوجية.

هل لي أن أقول:

ترى ماذا ستفعل هذه الدول والمؤسسات والأفراد، إذا علموا أن رجلاً أميًا منذ ١٤٠٠ عامًا ولد يتيم الأب في جزيرة العرب كان يأمر أصحابه ومتبعيه بالقيلولة، هل ستتغير نظرتهم لهذا الرجل ولمتبعيه أيضًا.؟ صدقت يا سيدي يا رسول الله، لم تأت إلينا إلا بما فيه مصلحتنا وفيه صلاح البشرية كلها.

قال عنك ربك في كتابه الكريم: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى، وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى، إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى، عَلَّمَهُ شَدِيدُ القُوَى﴾ .

نعم سيدي يا رسول الله، لم تنطق عن الهوى، وكلماتك وحي من الله، وكنت أميًا.. ولكن علمك شديد القوى. فهنيئا لمن اتبعك.

(٣٥)

كيف نستقبل رمضان..؟

من وجهة نظري الشخصية.. على المسلم أن يستقبل شهر رمضان بالآتي :

١–أن يسدد ديونه للآخرين، فربما هم في حاجة إلى أموالهم.

٢– أن يخلص نفسه من ذنوب العباد، ويستسمحهم منها، لأن رمضان لا يكفر الذنوب المتعلقة بالعباد.

٣– أن يجد ويجتهد في عمله، إذا كان موظفًا ولا يتحجج بالصوم والحر والعطش.

٤– أن يكون في خدمة العباد ومصالحهم، قبل العبادة الشخصية، أي يقضي مصلحة لمحتاج أهم من ركع النوافل.

٥– لا بد أن يعرف أن درء المفاسد مُقدم على جلب المصالح.

اللهم انفعني بها وأجرني على من فعلها،

ربما هذا الكلام مختلف عن الموضوعات التي تحكي في رمضان ولكنها مكملة لها.

وسؤالي هو

كيف أصوم رمضان، واذهب للعمرة أيضًا، وخزينتي مليئة بأموال الدائنين الذين هم في حاجة ماسة إليها...؟

(٣٦)

لماذا لا يكون الموت موضع بحث للعلماء.؟

كلنا يعلم أن الموت هو نهاية اجل الإنسان سواء كان رجلا أو امرأة، كبيرًا أم صغيرًا، طفلاً أم شيخًا عجوزًا. لا يفرق الموت بين أمريكيًا يعيش في ترف واضح، أو إفريقيًا يعيش في صحراء قاحلة. لا يفرق الموت بين إنسان يموت من التخمة، أو آخر يموت من قلة الطعام. لا يفرق الموت بين أمير قوم أو وضيع بينهم، لا يفرق الموت بين رئيس أكبر دولة أو رجل نظافة يكنس الشارع، الموت لا يعرف التفرقة بين الناس، جميعهم عنده سواء، لا يختار منهم إلا من أتى دوره.

كيف يختار الموت صاحبه من بين مليارات البشر.؟

في عقيدتنا وإسلامنا وسنة نبينا نقول، إن الله قد أرسل ملك الموت وأمره بقبض روح هذا الإنسان، نعم لكل أجل كتاب، سبحانك ربي، ولكن لماذا لا يقوم العلماء الذين لا تحكمهم عقيدة أو دين أو مذهب بجعل كلمة الموت هي موضوع بحث لهم.؟

من المعلوم أنهم لا يدينون بأية ديانة، ولا تحكمهم أية عقيدة، ولا يؤمنون بأي مذهب، من الذي استولى على عقولهم..؟ وسلبها ومنعها من التفكير في كيفية الموت؟؟

جميع الأبحاث التي تعمل في هندسة الوراثة وتحسين السلالات، سواء الحيوانية أو النباتية .

لماذا لا يتم توجيهها لتأجيل الموت أو إلغائه نهائيًا .؟!

ربما يتهمني أحد القراء بالجهل ويقول لي: ألم تسمع قول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٨٥)، الإسراء. وقول الله سبحانه وتعالى ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ (٣٨)، الرعد .

وأقول له: أنا مؤمن بكل كلمة بالقرآن الكريم، وبكل حرف به، وأتعبد به أيضًا، ولكن مبلغ علمي أن كثيرًا من علماء الأرض لا يدينون بما أدين به، ولا يعتقدون به أيضًا، فلماذا لا يبحثون عنه.؟ لماذا لم يفكروا في كيفية الموت.؟ من الذي منعهم من ذلك.؟

ربما بداخلهم إيمان كامل بأن الموت من عند الله، وأن الله موجود، ولكن يتكبرون للإيمان به.

مجرد تخمين

(٣٧)

لماذا نفرح في مصائب غيرنا.؟
هل نثأر لأنفسنا أم ينقصنا سعة الأفق والإدراك.؟

هل الذي يفرح في مصائب الآخرين يثأر لنفسه.؟
هل الذي يفرح في مصائب الآخرين تنقصه سعة الفكر.؟
هل الذي يفرح في مصائب الآخرين تنقصه سعة الإدراك.؟
هل الذي يفرح في مصائب الآخرين تنقصه رحابة الصدر.؟
هل.. وهل.. وهل...؟

عندما قامت أمريكا والاتحاد الأوربي منذ عشرة سنوات بضرب يوغوسلافيا، فرح الكثير من ضعاف النفوس، وقالوا سلطهم الله على بعض، ولكن لا ندري.. هل هي خطة أمريكية ربما لتحجيم يوغوسلافيا وتحجيم الشيوعية وتحجيم روسيا أيضًا.؟ إذا سمعنا أن نيزكًا سيدمر أمريكا في العام الفلاني فرحنا وتهللنا، أليس بأمريكا كثير من المسلمين أيضًا.؟ أليست الدول الغربية بها كثير من المسلمين وكثير من الديمقراطية.؟

لماذا ندعو على أعدائنا، وكثير من أبنائنا بينهم، يعيشون حياة مترفة لا يجدونها في بلادهم الأصلية، نترك ديننا وتعاليمه ونرتكب الموبقات،

ونترك واجباتنا ونهمل حقوق أوطاننا، ولا نعمل شيئًا مفيدًا سوى الدعاء على المشركين، أليس من عمل نعمله، ونتفاعل مع المجتمعات الأخرى من وازع ديننا وتعاليمه، ربما يصلهم الفكر الإسلامي من خلال أعمالنا.؟

الدعوة الآن من وجهة نظري يلزمها تمسكنا بالدين النقي الطاهر والسنة النبوية، يلزمها تفاعلنا مع الدين وطرحه للآخرين، اندماجنا مع المجتمعات مع تمسكنا بالطهارة والشفافية.

أعتقد أنه يلزمنا إعادة تثقيف، وإعادة قراءة لديننا وسنة رسولنا من جديد، التي بها سنغزو كل شعوب العالم غزوًا ثقافيًا تنتج عنه مجتمعات تدين بالإسلام، كما فعل أسلافنا وشارفوا على حدود باريس يومًا ما.

اللهم علمنا يا رب ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(٣٨)

الدانيمارك والإساءة للرسول والمقاطعة والاتحاد الأوربي لخبطيشن.. ماذا يمكن أن نفعل.؟

حقيقة الأمر.. ساءنا نحن المسلمين قاطبة ما نشر من إساءات لرسولنا العظيم، وهي إساءة لكل مسلم على وجه الأرض، وعليه واجب الدفاع الشرعي الذي تكفله له الشريعة السمحة والقوانين والأعراف الدولية كذلك.

وفعلاً كانت المقاطعة سلاحًا فعالاً لهذه الإساءة، وأضرتهم كثيرًا، ونتمنى دوام المقاطعة حتى يفيق الغرب، ويعترف بفعلته، و يتوب عنها، ويضمن لنا أهم من ذلك ألا وهو عدم تكرارًا ذلك مستقبلاً.

ولكن أخواتي وأخوتي مسلمي الكون

هل تكفي المقاطعة.؟ وهل هي السلاح الوحيد الذي نملكه.؟ هل نحن المسلمون في انتظار إساءة حتى نرد عليها وكفى.؟ أليس لنا دور فعال في أن نصنع الحدث،، لا أن ننتظر الآخرين يصنعون الحدث حسبما شاءوا، لكي نرد عليهم.؟

مجرد تساؤل..

لماذا ننتظر أن يصنع الغرب الحدث حتى نتفاعل معه.؟ لماذا لا نكون نحن أول من يصنع الحدث ونتركهم يتفاعلون معه.؟ أليس الغرب هو الذي يصنع الحدث في كل بلاد الإسلام ويشتت أفكارنا في الرد على الحدث والتعامل معه.؟ أليس الغرب هو الذي يحدد المبادرة ويتركنا للمناقشة فيها، وقبل أن تنتهي يوجِد مبادرة أخرى وأخرى، ونحن نتدارس مبادراته..؟

آنساتي سيداتي سادتي

من فضلكم

يا ليت يكون لكل مسلم ومسلمة دور واضح ومحدد.. لماذا لا نتساءل بين بعضنا البعض لنصل إلى نتيجة.. هل الصحفي والجريدة فعلاً مخطآن.؟ أم نحن المقصرون.؟ هل من الممكن أن نستحوذ عليهم ونجعلهم أصدقاء، بدلاً من كونهم أعداء.؟ هل من الممكن أن نتفهم موقف الغرب ونشاركه أفكاره، لنتدارسها ونرد عليها.؟

مجرد تساؤل...

ربما يتفهموا أفكارنا ويكونوا عونًا لنا بدلاً من عداوتنا، ألم ينتشر الإسلام بالكلمة فقط...؟؟؟ وبالذات في معظم دول أسيا، ألا نحمل أنفسنا جزءًا من المسؤولية عما حدث.؟ ألسنا مقصرين في توصيل أفكار الإسلام للغرب وسماحته، وتركناهم يتخيلون ما يشاءون عن الإسلام.؟ هل من الممكن أن نصل بأفكار ومعتقدات الإسلام إلى الغرب.؟

أعتقد أن الواجب علينا كبير.

علينا أن نصلح من سلوكنا، ونحسن من طريقتنا للوصول بأفكار نقية عن الإسلام للغرب.

أليس الغرب يصنع الحدث ويطالبنا بتنقية مناهجنا من الإرهاب، وهو في نفس الوقت لديه مناهج تحث على كراهية العرب والمسلمين.؟

من فضلكم

تعاهدوا على شيء واحد، وأنا أضمن لكم مستقبلاً باهرًا لإسلامنا، ألا وهو أن نكون أولاً مسلمين، ونوصل أفكارنا للغرب حسب سنة الرسول الأمين، أليست أم المؤمنين القائلة على رسولنا وهي أعلم به منا.

(كان قرآنا يمشي على الأرض)

تمسكوا بإسلامكم، وتفاعلوا معه حسب سنة رسولكم، وأوصلوه للغرب كذلك.

ستدين لكم الأرض كما كان إباؤكم وأسلافكم.

(٣٩)

من يدلني على أول الطريق.؟

من المعلوم أن أي تائه في الصحراء— حتى لو كان يملك الزاد— فهو يبحث عن أول الإسفلت،للخروج من مأزقه، وللولوج في حياة البشر المنظمة.

نقول أول الإسفلت لأنه: بداية طريق النجاة، بداية طريق الانطلاق، بداية نهاية الخوف، بداية نهاية المجهول، بداية الحضارة والرقي.

كثير من الشعوب الإسلامية تعيش في سلبية تامة، بعيده عن أحداث العالم وتفاعلاتها، سواء بإرادتها أو مفروضة عليها. ولكننا نرى إرهاصات كثيرة تفوح منها روائح ذكية، نشمها بين الحين والحين، ربما تطربنا أحيانًا وتحزننا في كثير منها. لقد فُرِض **(بضم الفاء وكسر الراء)** على شعوبنا أن تعيش باحثة على لقمة العيش حتى لا ترى غيرها، ولا تحس بدونها، ولكن الأحداث التي يفرضها علينا حكام الغرب وأمريكا وإسرائيل، توقظنا وتجعلنا نفكر:

(لماذا يفعلون ذلك وماذا يريدون منا)......؟!

ونرى يقظة جميلة بين أبنائنا ونسائنا أيضًا، وكذلك فتياتنا نحو الإسلام، وحُبًا فيه وتفانيًا من أجله. نعم إنها يقظة فقط لم ترق لدرجة التفاعل مع من حولها. ونرى تمسكًا بالدين وتعاليمه. نرى زيادة عدد المصلين وعدد المصليات أيضًا، نرى اجتماعات كثيرة حول المصحف وتعلمه وطريقة تجويده وترتيله. نرى جماعات من الشباب والشابات يتدبرون فيما بينهم ويعملون لإحياء كلمة الدين، يجمعون من الثياب والأحذية القديمة والجديدة لتوزيعها على الفقراء، وكثير منهم يجمع الكراريس والأقلام والكشاكيل لتوزيعها على الطلاب الفقراء، نسعد بهم جدًا ونفرح لمجهودهم.

ولكن.. لا نعلم ما الذي دفعهم إلى فعل ذلك.؟ ما الذي دفعهم إلى عمل الخير تطوعًا دون تكليف من مسئول.؟ ربما حُبهم لدينهم، ربما إحساسهم بظلم يقع على الفقراء، ربما صحوة جديدة وانطلاقة مبشرة بمستقبل آخر، لا أدري لماذا يفعلون.. إنها مجموعات عمل ليست منظمة ولا يحكمها قانون أو يديرها مسئول، إنها أعمال فردية فقط، ولكنها مبشرة.

وماذا بعد ذلك.؟

إن جميع هذه الأعمال تحتاج إلى تنظيم متقن، وإلى توجيه هادف، وإلى ترشيد وتصويب.

هل توجيه الضربات المتتالية والمنظمة والهادفة من أمريكا وإسرائيل، لاقتلاع جذور الإسلام هي السبب.؟

إن ضربات أمريكا لأي بلد إسلامي توقظنا، وتشعل النار في قلوبنا، وتجعلنا نفكر لا كيف نثأر لأنفسنا، ولكن كيف نتقيها.؟ ولأننا لا نملك وسيلة لنقي أنفسنا، فما كان من الشعوب الإسلامية سوى الالتحام والتعاون المثمر فيما بينها، وما كفالة اليتيم ومساعده الفقراء سوى ردًا على قنابل أمريكا وإسرائيل في إخواننا المسلمين، إن ضرباتك يا أمريكا ويا إسرائيل لأبنائنا وشعوبنا، توقظنا وتشعل النار في قلوبنا، وتجعلنا نتحد مع بعضنا البعض، ونتكاتف معًا. ربما غدًا نملك الوسيلة للدفاع عن أنفسنا، ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢١)، يوسف.

(٤٠)

هل سلطان الحكم يحتاج لسلطان المال.؟ دعوة للحوار..

مما لا شك فيه أن للمال بريق وإغراء وإغواء

وللمال متعه يشعر بها الفقير والمحروم، ولكن لا يستطيع التمتع بها، ويحس بها الغني ويستمتع بها ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ﴾ ولسلطان الحكم أيضًا بريق ولمعان وقوة ونفوذ ﴿ فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَل لِّي صَرْحًا ﴾، ﴿ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا هَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ ﴾، ﴿ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي ﴾ بالمال يقضي الفرد مصالحه، وتبني الدول جيوشها، وبسلطان الحكم يقوم الفرد بفرض نفوذه وسيطرته وإرادته.. لسلطان الحكم في تاريخ البشرية الكثير من الأمثلة، يكفينا منها أن نذكر نيرون وهولاكو وجنكيز خان. وبسلطان المال والثروة تقود الدول مشروعاتها حتى العسكرية منها، وتقوم معاملها بالاختراعات، ربما المدمر منها أيضًا، ولكن من يحتاج للآخر.؟

هل سلطان المال يحتاج لتدعيم نفسه بسلطان الحكم..؟ ربما. وهل سلطان الحكم يحتاج إلى بسط نفوذه بسلطان المال..؟ من المحتمل. يحكي لنا القرآن الكريم عن قارون كمثال واضح لسلطان المال، وفرعون مثال واضح لسلطان الحاكم، ومن قدر الله –وليس صدفة– أن يأتي قارون في زمن فرعون في وقت واحد، رغم أن قارون لم يكن مصريًا بنص القرآن الكريم ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾ لقد ورد ذكر فرعون في القرآن الكريم ٧٤ مرة. وورد ذكر قارون في القرآن الكريم ٤ مرات. ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى﴾ ﴿يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾ للأسف الشديد رغم أن فرعون كان مصرياً، وقارون من قوم موسى، و لم يكن مصريًا إلا أنهما اتفقا معًا ضد سيدنا موسى ورسالته.

سلطان الحكم يعترض على سيدنا موسى، وسلطان المال أيضًا يعترض على سيدنا موسى، ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُم مُّوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ﴾ (٣٩) العنكبوت. ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٢٤) غافر.

من ظاهر الآيتين يتضح أن القرآن الكريم قدَّم سلطان المال مرة، ﴿وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ﴾ وقدم سلطان الحكم مرة، ﴿إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ﴾، ولكن لماذا يتحد سلطانا المال والحكم في وجه الدعوة إلى الله.؟ جميعنا يعلم ما فعله فرعون، وما الذنب الذي ارتكبه ﴿مَا

أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلاَّ سَبِيلَ الرَّشَاد ﴾ ، ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ ولكن ما الذنب الذي ارتكبه قارون، حتى تكون نهايته الخسف..؟ ﴿ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْض ﴾

يوضح لنا القرآن الكريم عن قارون قائلاً: ﴿ إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ أول شيء فعله قارون هو البغي على قومه، (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) ثم بعد البغي آتاه الله المال﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ ﴾ ومن هذه الآية نفهم أن الله من الممكن أن يعطي الباغي أموالاً ونفوذًا، لاشك في ذلك. ولكن تدخل قوم قارون بالنصيحة له قائلين: ﴿لاَ تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْفَرِحِينَ، وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلاَ تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ، وَلاَ تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْض إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾

فماذا كان رد قارون وهذا هو الذنب الأكبر والخطيئة الكبرى التي وقع فيها قارون ﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي ﴾ قال عن نفسه إنه هو صاحب الفكر والتفكير، وهو لديه من العلوم ما يجعله يكوّن هذه الثروات، لديه من بيوت الخبرة والمكاتب الاستشارية، ولديه من علوم التسويق التي تكفل له هذا المجد. لقد وقع قارون في الذنب، ونسب لنفسه عطاء الله له ناسيًا قدرة الله وعطاءه له.

لقد أخطأ قارون عندما تجاهل قدرة الله في العطاء والسلب، ونسب إلى نفسه وإلى علمه هذه الكنوز. ﴿وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ﴾ فماذا كانت النتيجة لسلطان الحكم فرعون الموت..؟ الغرق ﴿حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ﴾ وماذا كانت نتيجة سلطان المال..؟ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ﴾ يوضح لنا القرآن الكريم الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه قائلاً: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ .

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا.

(٤١)

وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَونَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ

(لَقَدْ أَخَذَ اللهُ آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ) أي بالقحط والجوع سنة بعد أخرى، أي اختبارًا وامتحانًا لهم.

وكذلك أخذهم ﴿ بِنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَاتِ ﴾ وقيل السنين لأهل البوادي، ونقص من الثمرات لأهل القرى، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ لعلهم يتعظون فيؤمنون، وتذكيرًا لهم ليعودوا لربهم ويبتعدوا عن ضلالتهم. ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ أَلَآ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ ﴾ الخصب والغنى ﴿ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِ ﴾ أي نستحقها، ولم يشكروا عليها ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ ﴾ جدب وبلاء ﴿ يَطَّيَّرُواْ ﴾ يتشاءموا ﴿ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ﴾ من المؤمنين ﴿ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ شؤمهم ﴿ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يأتيهم به ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ لا يعلمون أنَّ ما يصيبهم هو من عند الله ﴿ وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ ﴿ وَقَالُواْ ﴾

لموسى ﴿ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِن آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ فدعا سيدنا موسى عليهم. ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ ، ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ ﴾ وهو ماء دخل بيوتهم، ووصل إلى حلوق الجالسين سبعة أيام ﴿ وَالْجَرَادَ ﴾ فأكل زرعهم وثمارهم كذلك ﴿ وَالْقُمَّلَ ﴾ السوس أو هو نوع من الجراد، فتتبع ما تركه الجراد ﴿ وَالضَّفَادِعَ ﴾ فملأت بيوتهم وطعامهم ﴿ وَالدَّمَ ﴾ في مياههم ﴿ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ ﴾ مبينات ﴿ فَاسْتَكْبَرُوا ﴾ عن الإيمان بها ﴿ وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾ .

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ ﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ ﴾ العذاب ﴿ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ ﴾ . من كشف العذاب عنا إن آمنا ﴿ لَئِنْ ﴾ لام قسم ﴿ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي (إِسْرَائِيلَ) ﴾ . ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ، ﴿ فَلَمَّا كَشَفْنَا ﴾ بدعاء موسى ﴿ عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰ أَجَلٍ هُم بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴾ ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم. ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ ﴿ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ ﴾ البحر المالح ﴿ بِأَنَّهُمْ ﴾ بسبب أنهم ﴿ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا

﴿ وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ لا يتدبرونها.

من سياق القرآن الكريم لقصة آل فرعون، وتكذيبهم لله ولرسوله، وعدم رضوخهم لأمر الله وتعاليمه حدث أن: أخذهم الله بآياته لتذكيرهم، ولكن القوم أصروا على ضلالهم، وما نحن فيه اليوم من غلاء للأسعار، وضنك في الحياة ومرارة في الحلقوم، ربما يكون سببها هو بعدنا عن الله سبحانه وتعالى.. والله من رحمته بنا يرسل إلينا آيات الواحدة بعد الأخرى.. لعلنا نعود إلى دينه وتعاليمه.

نعم على المسئولين عن هذا الشعب جزء كبير من المسئولية أمام الله... وهم محاسبون على ما نحن فيه. ولكن هل نظل نبكي على حظنا العثر ونقول: أين المسئولون.؟

أعتقد أن علينا العودة لله سبحانه وتعالى، وعدم الإصرار على المعصية، كما فعل آل فرعون،حتى تتغير حياتنا للأفضل، علينا تغيير حياتنا من أنفسنا وبأنفسنا نحن، مصداقًا لقول الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ ومن المؤكد أن الله لا ينزع نعمة من قوم أنعمها عليهم، إلا بسوء أعمالهم، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ علينا بالعودة لدين الله، واتباع سنته، لأن فيها نجاتنا مما نحن فيه، ودع المسئولين لله.

وللبيت رب يحميه

(٤٢)

هل يأثم الحاكم بعمل المحيطين به... رغم عدم علمه بما يدور في ملكه ؟

هل عدم علم الحاكم بأعمال تمت في عهده تعفيه من المسئولية.؟

كلنا يعلم مدى حرص الإسلام على كرامة الفرد، وعلى تحقيق متطلباته واحتياجاته، سواء كان مسلمًا أو غير ذلك.

ونحن نتعلم من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم (**ولئن أمشي مع أخي المسلم في حاجة، أحب إليّ من أن أعتكف في المسجد شهرًا**) ونتعلم أيضًا من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قال: (**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**) ومنه أن الحاكم راعٍ ومسئول أيضًا عن رعيته، وسيحاسبه الله على تقصيره في رعيته، وأي مكروه يقع بعلم الحاكم على فرد من الرعية، دون ذنب ارتكبه، لن يتركه الله بلا حساب، وسيكون الحاكم مسئولاً عنه أمام الله.

ولقد كان عمر بن الخطاب يطوف ليلاً، ليتفقد أحوال رعيته لإحساسه بمدى عمق المسئولية التي يحملها، ومن عِظم (**بكسر العين وفتح الظاء**) المسئولية الملقاة على عاتق عمر بن عبد العزيز كحاكم، عندما نزل في

غرفة في دمشق، أمام الناس ليكون قريبًا من المساكين والفقراء والأرامل، ثم استدعى زوجته فاطمة، بنت الخلفاء، أخت الخلفاء، زوجة الخليفة، فقال لها: يا فاطمة، إني قد وليت أمر أمة محمد عليه الصلاة والسلام، فإن كنتِ تريدين الله والدار الآخرة فسلّمي حُليّك وذهبك إلى بيت المال، وإن كنتِ تريدين الدنيا، .....الخ، واذهبي إلى بيت أبيك. قالت: لا والله، الحياة حياتُك، والموت موتُك. وسلّمت متاعها وحليّها وذهبها، فرفَعَه إلى ميزانية المسلمين.

ونحن نعلم كم كانت الدولة التي يحكمها بن عبد العزيز تمتد من السند شرقًا إلى الرباط غربًا ومن تركستان شمالاً، إلى جنوب أفريقيا جنوبًا، وعندما دخل عليه ضيوف في الليل فانطفأ السراج في غرفته، فقام يصلحه، فقالوا: يا أمير المؤمنين: اجلس قال: لا، فأصلح السراج، وعاد إلى مكانه، وقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز...!

وكم كان الفاروق عمر بن الخطاب مسئولاً، ويعلم مدى ذنب الحاكم المقصر في رعيته، وكان يقول إذا عثرت دابة في العراق سُئل (بضم السين وكسر الهمزة وفتح اللام) بن الخطاب عنها يوم القيامة.

وليس الحاكم فقط مسئول أمام الله بخصوص الرعية، ولكن المحيطين أيضًا مسئولون أمام الله طالما هم مأمورون بأمر الحاكم. صحيح أن الحاكم هو المسئول الأول، ولكن القرآن الكريم لا يعفي المحيطين بالحاكم من المسئولية. ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾ .

جميع ما أسلفنا يدل دلاله واضحة على أن الحاكم مسئول، وسيحاسبه الله على تقصيره في أمر الرعية، سواء مسلمين أو غير ذلك. ومحاسب أيضًا على كل مكروه يقع على رعيته من المحيطين حوله، طالما يحدث في عهده وفترة حكمه.

ولكن.... هل يحاسب الله الحاكم على مكروه، أو تقصير يقع على فرد من الرعية، دون علم الحاكم ومن وراء ظهره.؟ هذا هو السؤال....!

من قصة سيدنا يوسف عليه وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام.. عندما أرسل إليه ملك مصر وهو في سجنه قائلاً: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ﴾ ماذا قال يوسف عليه السلام .؟ ﴿قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ هنا سيدنا يوسف يلقي بالكرة في ملعب الملك (الحاكم الفعلي لمصر)، ليفتح الملف المغلق من سنين والذي يحوي براءة سيدنا يوسف، والذي بسببه دخل السجن، واستجاب فعلاً الملك الرائع فكرا لرغبه سيدنا يوسف وفتح التحقيق بحضور زوجه العزيز شخصيا والمحيطات بها واشرف الملك على التحقيق بنفسه ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ﴾ ماذا كانت النتيجة باعتراف المحيطات لزوجه العزيز ﴿قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ﴾ وماذا كان رد زوجه العزيز التي أمرت بحبسه ﴿قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ﴾ كان ردها صريحا لا يقبل التأويل ﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ

الآنَ حَصْحَصَ الحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴾ هنا ظهرت براءة كاملة غير منقوصة لسيدنا يوسف، فما كان من الحاكم إلا أن قال، ﴿وَقَالَ المَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ اليَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ .

من هذه القصة باختصار شديد يتضح الآتيّ على سبيل المثال لا الحصر، أن سيدنا يوسف دخل السجن ظلمًا ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾ أن القصة ملفقه من زوجة العزيز ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ أن الظلم وقع على سيدنا يوسف خلف ظهر الملك، ودون علمه، ورغم ذلك لم يشر القرآن الكريم من قريب أو بعيد إلى أن الملك مخطئ، و لم يحمل القرآن الكريم الظلم الذي وقع على سيدنا يوسف للملك، رغم أنه الحاكم الفعلي للبلاد التي وقع الظلم من أحد الأفراد المحيطين بالملك، ويملك قرار الإيداع بالسجن، إلا إذا قلنا أن الحاكم الذي لفقت في عهده القضية، ليس هو الحاكم الذي حقق في القضية، وهذا مردود من وجهة نظري لأن القرآن الكريم لم يشر إلى ذلك.

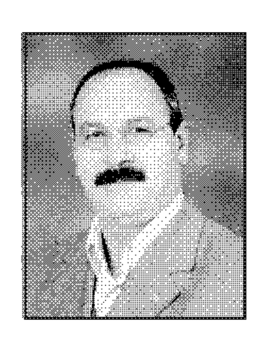
يتضح من ذلك أن الحاكم هو بالفعل الذي وقعت في عهده القصة، وهو الذي حقق في القضية وما أدان القرآن الكريم الحاكم على تصرف حدث في عهده من عزيز مصر بظلم على سيدنا يوسف. ونعلم أن القرآن الكريم لم يترك شيئًا يخص المسلمين إلا وذكره، ليوضح لهم شؤون دينهم.

فسؤالنا يقول:

ما مدى مسئوليه الحاكم عن مكروه يقع في عهده على رعيته من المحيطين به دون علمه.؟

هل يأثم على ذلك.

شكرًا لكم



السيرة الذاتية للمؤلف

من مواليد قلفاو محافظة سوهاج
تاريخ الميلاد ١٠/٥/١٩٥٨
بكالوريوس الهندسة الميكانيكية عام ١٩٨١

عمل بشركة كراكات الوجه القبلي مهندس تنفيذ من ١٩٨٣ حتى ١٩٨٦ .
وعمل بشركة مانتراك مهندس مبيعات من ١٩٨٦ حتى ١٩٩٢.
وعمل مشرف مبيعات بشركة رجب وسلسله بالمملكة العربية السعودية من ١٩٩٢ حتى ١٩٩٥
العلمي للخدمات الهندسية.
سبق له الترشيح لعضوية مجلس الشورى المصري عن الدائرة الأولى بندر ومركز سوهاج وأخميم.
متزوج ولديه ولد وثلاث بنات.
ebnzaydoon@yahoo.com

الفهرس


شمس
للنشر والتوزيع
(+٢) ٠١٨٨٨٠٠٦٥ (+٢) ٠٢٢٧٢٧٠٠٠٤
www.shams-group.net